الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية شعبة العلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية تخصص: علوم القرآن وتفسير

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية

تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين

سيد قطب– أنموذجا –

إعداد الطالبات: إشراف الأستاذ:

حوى فرجاني محمد الصالح غريسي

حنان بن علي

خديجة كينة

السنة الجامعية:1434/1435هـ_2012/2013 م

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾

الإسراء﴿١٠٦﴾

ملخص البحث

تهدف الدراسة إلى إيضاح قضية تنزيل الآيات عند المفسرين، وقد عني الأئمة المفسرون على مرّ الأزمان باستقاء مضامين القرآن ومراميه واستخراج العلاقة بين الواقع وبين صور القرآن وظلاله، وتنزيل الآيات وربطها بواقع الناس ومن هؤلاء الأئمة الذين اعتنوا بهذا الموضوع الأستاذ المفسر سيد قطب رحمه الله من خلال تفسير القرآن الكريم وبيان المهمة العملية المرجوة منه إن عمل به الناس، فكان تفسيره ثروة إسلامية لا يستغني عنها مسلم معاصر لذا رأينا أن نبحث جهوده في تنزيل الآيات على الواقع من خلال تفسيره"في ظلال القرآن " في البحث المعنون بـ: تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين –سيد قطب أنموذجا –مشتملا على ما يلي :

القسم الأول: الدراسة النظرية، وتضمنت تأصيل قضية تنزيل الآيات على الواقع، وتعريفا موجزا لهذا الموضوع والأطوار التي مرَ بها وحكمه وفوائده المستقاة منه .

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية، وتضمنت الملامح العامة لمنهج سيد قطب، وتعريفا موجزا بالمفسر، وأبرز القضايا المثارة في عصره من خلال تفسيره، ونماذج تطبيقية من تنزيلاته عليها.

Le résumé d étude:

a pour but de clarifier l'affaire d'appliquer les versets coraniques et les concrétiser lés expliqueurs du coran tout au long de l'histoire ont fait une grande importance à ce phénomène ,Ils cherchent toujours la relation entre les vessets corniques et la vie concrète, cherchent aussi commet appliquer le coran dans la vie quotidienne des gens,

parmi ces savants islamique" Saïd Qotb" d'après son explication du coran, il explique le rôle important du coran dan la vie des gents surtout si on l'appliquerait,

Saïd a fait beaucoup d'efforts afin de clarifier et enrichir ce point, dans son livre: " A l'ombre du Coran ".

Donc, nous avons fait notre étude sous titre: l'application concrète des versets coraniques chez les explicateurs_ Saïd Qotb exemple_ .

Cette étude comporte deux parties :

Partie 1: l'étude théorique de l'application concrète des versets coranique, sa définition, ses étapes, son jugement, et ses bienfait.

Partie 2: l'étude pratique: méthodologie de Saïd Qotb, sa biographie, les idées de son époque, des exemples de l'application concrète des vessets selon Saïd Qotb.

شكر و عرفان:

باسمك اللهم نستعين على أمور الدنيا والدين، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك المصير، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، لك الحمد الكثير، والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وعلى آله وصحبه الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أما بعد:

هي كلمة أبت إلا الحضور، هي كلمة شكر و تقدير لله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذه المذكرة في أحسن الأحوال.

هي كلمة شكر وعرفان إلى الذي أمدنا بتجربته وصادق عونه، وسديد توجيهه، وعلى صبره الجميل معنا، وسعة تفهمه، وسمو تواضعه، الأستاذ المشرف: محمد الصالح غريسي (أستاذنا جزاك الله عنا كل خير).

إلى الأستاذ: محمد بحري الذي أغرقنا بجميل تفانيه، وطول صبره، وتصويباته وغزير نصحه، وعلى وقته الثمين الذي أنفقه علينا على حساب انشغالاته العلمية الكثيرة، حفظه الله وأدامه منارة تنير دروب البحث والباحثين.

إلى من يسرنا وجودهما في حياتنا وانبثقت على أيديهما ثقتنا بأنفسنا، آباءنا الأعزاء.

إلى من جمعتنا بهم رحلة الحياة، أصدقاء وزملاء مشوارنا العلمي.

والشكر الخاص إلى الطالب: الطاهر شرقي الذي ساعدنا في كتابة وإعداد المذكرة، لا نستطيع مكافأته عليه، إلا بالدعاء.

كل هؤلاء لكم منا فائق الاحترام والتقدير

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمدﷺ، وعلى آله و صحبه أجمعين، خير المتلقين لهذا الدين والممتثلين له، أما بعد:

حين يتساءل الإنسان عن مصدر الداء و طريق الدواء، يجد ذلك جليا في القرآن الكريم، إذ أنزله البر الرحيم لأمّة تعقله، هاديا للتي هي أقوم، فيه:{ بَصَائِرُ لِلنَّاسِ(٢٠)} [الجاثية:20].

وقد وضّح الرسول الكريم محمد ﷺ هذه الحقيقة و جلاها حين قال:{تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله}[1]، وأبان الله عزّ وجلّ عاقبة الإعراض عنه، قال تعالى:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)}[طه:124].

وقد فقه الصحابة الكرام هذا المقام الرفيع للقرآن، فاهتدوا به في حياتهم، وانطلقوا من توجيهاته، وتحاكموا إليه في جميع أمورهم، فسهل الله طريقهم ونوّر دربهم وأصلح بالهم، فصاروا سادة الدنيا بعد أن كانوا أصحاب قلوب تائهة ونفوس مريضة، فحالهم كما وصف الله: { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)}[المائدة:83]، فهي معرفة مُنشِئَةٌ للعمل، وتلقٍّ للتنفيذ، وقراءة تدبر بغرض التماس التوجيه والعمل بما فيه، فهو منهج متكامل لا مجرّد تلاوة.

والحاصل في زماننا اليوم، الذي أتى معه التقدم الهائل، في ساحات العلم والمعرفة وغيرها، بمشاكل فكرية عقدية كثيرة، و لا جرم أنّ هذا العصر، قد أصيب بالقسط الأوفر من المشكلات والأزمات، جرّاء المدنية والحضارة الحديثة، ومن خلال تغذية الجيل بِنُظُم ومناهج مستعارة ، دون اعتبار بالدستور الأعظم، كتاب المولى عزّ و جلّ.

فكنا مطالبين أكثر من أي وقت مضى، بعودة صادقة إلى الكتاب العزيز، نجعله هو الهادي لحياتنا، إيمانا و تصديقا، تلاوة وتدبرا وفهما، إتباعا وامتثالا.

1 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه و سلم، (889/2) ، رقم1218، دار الحديث القاهرة، ط1، 1991م، ت محمد فؤاد عبد الباقي.

ولما حصلت الصحوة الإسلامية التي نعيشها اليوم، عاد المهتمون بالإصلاح والتغيير إلى المصادر الإسلامية، ومن العلماء المعاصرين الذين أعطوا إسهامات كبيرة في هذا المجال، المفكر الشهيد المفسر"سيد قطب" رحمه الله، صاحب مدرسة الظلال، الذي أعطى فيه بفكره الإسلامي الحركي اشراقات جديدة للبشرية، استنبطها من القرآن الكريم، فهو مجاهد حق الجهاد في تعريفنا بأصول ثقافتنا وحضارتنا، وكشف الغطاء عن أصالتنا الإسلامية، المستمدة من نور القرآن الكريم، لتعود فاعلة في حياتنا و سلوكنا.

ومن هنا تمخضّت رغبتنا في دراسة التنزيل والربط بالواقع عند سيد قطب، في تفسيره الظلال، الذي يعدّ من التفاسير التي أظهر فيها صاحبه لمسة جديدة.

والأمّة أحوج ما تكون في هذا الوقت إلى من يعيدها إلى كتاب ربّها، ورغم الدراسات التي توالت فيه، إلاّ أنّنا سنحاول خوض غمار البحث والكشف فيه وعن مكنوناته.

وقد استقر رأينا في الأخير أن يكون موضوعنا:"تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، سيد قطب أنموذجا" .

و من الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع:

- رغبتنا في التطلع على كنه هذا الموضوع، وما يحويه من كنوز جمّة.

- قلة الدراسات والرسائل المطروحة بالنسبة لموضوع تنزيل الآيات على الواقع بالخصوص.

- خدمة تفسير الظلال لما له من الشرف والمكانة، وطمعا في ما عند الله من الثواب.

- تحقيق قدر كبير من الفائدة من خلال البحث في هذا الموضوع، وأفضلية هذا التفسير من ناحية تميزه عن غيره، بأنه يلمس الواقع المعاش.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في:

- كونها محاولة للكشف عن الجوانب الواقعية لهذا التفسير، التأصيل لها.
- يمكن أن يستفيد من نتائج هذه الدراسة، أهل التفسير والدعاة.
- تفتح الدراسة طريقا أمام الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات حول موضوع التنزيل.

والهدف المرجو من هذه الدراسة، هو بيان جانب التنزيل للآيات على الواقع، ومدى اندفاع المفسّر سيد قطب واهتمامه بهذا الجانب، وربطه بقضايا عصره، وإبراز كل ذلك في الظلال.

الدراسات السابقة:

- المنهج الحركي في ظلال القرآن لصلاح عبد الفتاح الخالدي
- مدخل إلى ظلال القرآن لصلاح الخالدي
- تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين – دراسة وتطبيق- لعبد العزيز بن عبد الرحمان الضامر
- تطبيق الآيات على الوقائع المعاصرة من خلال المنار، ومجالس التذكير، والظلال، لعبد العزيز بن عبد الرحمان الضامر، رسالة ماجيستر.

و من هنا نطرح إشكالية موضوعنا:

إلى أيّ مدى استطاع المفسر سيد قطب رحمه الله تطبيق الآيات على الواقع من خلال تفسيره الظلال؟، و فيما تتمثل أهم القضايا التي تناولها بالاعتماد على آلية تنزيل الآيات على الواقع؟، وما هي النتائج المرجوّة من هذه الموضوع؟ ،والمعايير التي يجب توفرها في عملية التنزيل؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات، انتهجنا المنهج الوصفي التحليلي، متبعين خطة مكونة من فصلين، ولنا في الفصل الأول الموسوم ب: تأصيل قضية تنزيل الآيات على الواقع، مفهومها والأطوار التي مر بها وحكمها، وأنواعها المعتبرة، والفوائد المستقاة منها، وعلاقتها ببعض مسائل علوم القرآن، أما الفصل الثاني: سيد قطب ومنهجه في تنزيل الآيات على الواقع- تأصيل ونماذج- وقد ذكرنا فيه ترجمة موجزة لحياته، ومنهجه في تطبيق الآيات على الواقع، وأبرز القضايا في عصره ونماذج تنزيله عليها من خلال تفسيره، ولإنجاح بحثنا استعنا بجملة من المصادر والمراجع أهمها: تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب، وتنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين لعبد العزيز الضامر، وغيرها من المصادر والمراجع.

أما عن أبرز الصعوبات التي واجهتنا في سبيل إنجاز هذا البحث هي:

صعوبة حصر هذا الموضوع في المقرر المطلوب من الصفحات، ذلك أن البحث فيما يخص سيد والظلال يطول و يتشعب.

وعلى الرغم من ذلك فقد تجاوزناها، وتم هذا العمل بعون الله وحمده، وفي الأخير ليس بمقدورنا إلا أن نعترف بالفضل لأهل الفضل، فنتقدم بالشكر الجزيل للمشرف- محمد الصالح غريسي- على نصائحه وتوجيهاته القيمة، فله منا أسمى عبارات الاحترام والتقدير، دون أن ننسى كل من مد لنا يد العون من أساتذة وزملاء، فلهم منا وافر الشكر والتقدير.

الفصل الأول:تأصيل قضية تنزيل الآيات على الواقع

المبحث الأول: مفهومها ونشأتها، حكمها، أنواعها وفوائدها.

المطلب الأول: تعريف تنزيل الآيات على الواقع

المطلب الثاني: نشأتها وتطورها

المطلب الثالث: حكمها وضوابطها

المطلب الرابع: أنواعها وفوائدها

المبحث الثاني: علاقتها ببعض مسائل علوم القرآن

المطلب الأول: علاقتها بالحكمة من نزول القرآن منجماً

المطلب الثاني: علاقتها بصيغ أسباب النزول المحتملة

المطلب الثالث: علاقتها بقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا خصوص السبب

الفصل الأول: تأصيل قضية تنـزيل الآيات على الواقع.

سنعرض في هذا الفصل مجموعة من المبادئ الأساسية التي تعين في فهم الموضوع بد ءا بالمفهوم إلى النشأة والتطور،ثم نتطرق إلى ذكر الحكم والضوابط والأنواع والفوائد،إضافة إلى علاقة موضوع التنـزيل ببعض مسائل علوم القرآن فيما يأتي :

المبحث الأول : مفهومه، نشأته، حكمه، أنواعه وفوائده .

المطلب الأول : تعريف تنـزيل الآيات على الواقع.

تنـزيل الآيات على الواقع عنوان يتركب من ثلاث كلمات محورية (التنـزيل ، الآيات، الواقع) و للتعرف على مفهومه يقتضي أن نعرّف كل كلمة على حده لغة واصطلاحا، ثم نعقب على ذلك بذكر التعريف الاصطلاحي للجملة المتكونة من مركب إضافي وجار ومجرور .

أولا: التنـزيل: نزل، النـزول، الحلول وقد نزلهم، ونزل عليهم ونزل بهم، ينزل نزولا ومنزَلاً، ومنزِلاً بالكسر شاذ[1] ، "والتنـزيل ظهور القرآن بحسب الاحتياج بواسطة جبريل على قلب النبي ﷺ" [2].

وبهذا يكون التنـزيل عبارة عن ظهور النص القرآني بحسب ما يقتضيه الحال، ويجدر الإشارة هنا إلى أنّ التنـزيل والإنزال حقيقتان متغايرتان، فالتنـزيل يطلق على التدرج والتنجيم بينما يكون الإنزال دفعة واحدة [3].

1- ابن منظور، لسان العرب، باب نزل، (656/11)، دار صادر، بيروت، (د-ط)، (د-ت) /الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (478/30، 479)، دار التراث العربي، الكويت، 1965.
2- الشريف الجرجاني، التعريفات، ص 70، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1985.
3 - الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (479/30).

ثانيا: الآيات: أصل آية أَأْية، بوزن أعْيه، مهموز همزتين فخُفِّفَت الأخيرة فامتدت[1] .

وتطلق ويراد بها معان عدّة: الجماعة، الأمر العجيب، العلامة والعبرة [2] .

أما تعريفها **اصطلاحا:** فهي مقدار من الآيات مركب، و لو تقديرا أو إلحاقا ، فتقديرا مثل قوله تعالى: { مُدْهَامَّتَانِ } [الرحمان: 64]، إذ التقدير : هما مدهامّتان، ونحو: {وَالْفَجْرِ} [الفجر: 1]، إذ التقدير: أقسم بالفجر، أمّا قوله إلحاقا: لإدخال بعض فواتح السور، من الحروف المقطعة، فقد عدّ العلماء أكثرها آيات عدا: ألر، ألمر، طس، وسميت آية لأنّها دليل على أنّها موحى بها من عند الله إلى النبي ﷺ[3].

ثالثا: الواقع: **لغة:** الواو والقاف والعين أصل واحد يرجع إليه فروعه، يدّل على سقوط شيء، والواقعة، الداهية، والواقعة: النازلة من صروف الدهر[4].

أمّا الواقع **اصطلاحا** : "هو الحالة التي عليها الأمّة الآن، فيدخل فيه كل الجزئيات والكليات التي تتكون منها الأمّة الآن حسب حالتها الراهنة"[5].

فيكون الواقع بهذا ما تجري عليه الحياة في مجتمع ما، بجميع الأساليب التي تحقق أغراض ذلك المجتمع، مجموعة في الأعراف والتقاليد والنظم التي تحكمها .

رابعا: المفسرين: الفاء والسين والراء كلمة واحدة، تدل على بيان الشيء وإيضاحه[6]، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ[7]، وهو جمع مفسّر وهو المبين والكاشف، والمفسّر: من

1_ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (168/1)، دار الفكر، بيروت، (د_ط)، 1979م.
2_ المصدر نفسه، (169/1).
3_محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، (1/ 74)، الدار التونسية، (د _ط)، 1884م.
4_ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (134/6)/ابن منظور، لسان العرب، (403/8).
5_ الشاهد البوشيخي، فقه واقع الأمة، ص12، مجلة حراء، عدد33/2012م.
6_ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (504/4).
7_ ابن منظور، لسان العرب، باب فسر، (55/5).

كانت له أهلية يعرف بها تفسير مراد الله تعالى تدبراً وتأملاً، وكان له رأي فيه ومشتغلا بذلك عملياً، بتعليم أو تأليف[1].

والشروط التي ينبغي أن تتوفر في المفسّر حتى يطلق عليه هذا الاسم هي: أن يكون عالما باللّغة والنحو والصرف والاشتقاق وعلوم البلاغة الثلاثة، (المعاني والبيان والبديع)، علم القراءات وعلم الآثار، أخبار العرب، أصول الفقه[2].

تعريفه الاصطلاحي باعتباره مركبا: هو مناسبة الآيات القرآنية لما يجري في واقع زمن المفسر[3].

وهذه المقابلة قد تكون مطابقة لما في الواقع، فتكون بمثابة التطبيق العملي لها، أو مطابقة لجزء منها، أو مخالفة - أي الواقعة – لما أمرت به الآية.

1_ عبد العزيز الضامر، تنـزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، ص30، جائزة دبي الدولية، ط2007/1م.
2 _محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، (18/1).
3 _عبد العزيز الضامر، تنـزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، ص33.

المطلب الثاني: نشأته وتطوره

تعتبر قضية تنـزيل الآيات على الواقع من المواضيع اللصيقة بعلم التفسير التي لا تنفك عنه، والمراحل التي مرت بها هذه القضية هي نفسها مراحل تطور علم التفسير وهي: التأسيس، التأصيل، التفريع، التجديد.

أولا : طور التأسيس : ويمكن تقسيمها إلى مرحلتين :

1 – في عهد النبي صلى الله عليه وسلم:

كانت بداية هذه المرحلة على يد رسول ﷺ، حيث كان يستشهد بالآية على ما يجري من أحداث ووقائع في زمنه متمثلا ذلك في أسباب النـزول، حيث تنـزل الآية عقب واقعة ما لعلاجها وإزالة اللبس الحاصل فيها، وكذا التي لم ينزل في حقّها قرآن يستشهد بالآية فيها وينـزلها عليها، من ذلك ما رواه بريده بن الحصيب[1] ﷺ قال: "خطبنا رسول الله ﷺ، فأقبل الحسن والحسين ﷺ، عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنـزل فأخذهما فصعد بهما المنبر ثم قال: صدق الله {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}، رأيت هذين فلم أصبر ثم أخذ في الخطبة"[2]، فكانت هذه الخطبة أروع مثال عملي يطبِّق فيها رسول الله ما ورد في هذه الآية، وكان هذا الموقف محلا لاهتمام الصحابة من بعده والعمل به على ما يجري في واقعهم من حوادث ونوازل.

1_ هو: بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي: من أكابر الصحابة، أسلم قبل بدر ولم يشهدها واستعمله النبي ﷺعلى صدقات قومه، سكن المدينة ثم انتقل إلى البصرة ثم إلى مرو و مات بها، له167حديثا/ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (115/1).

2 - أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الصلاة، باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث(233/1)رقم1233، قال الشيخ الألباني: صحيح، صحيح و ضعيف الترمذي ص 191، الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين(616/5)رقم3774/النسائي في سننه، كتاب الجمعة، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة(101/3)رقم1413.

2– بعد وفاة النبي ﷺ:

امتدّت هذه المرحلة من وفاة النبي ﷺإلى نهاية القرن الثالث، وهنا برزت هذه القضية بصورة أوضح ممّا كانت عليه في زمن النبيﷺ، ذلك أن الوحي قد انقطع، ومن أهم الأسباب التي جعلته يظهر بشكل أوضح الفتن والفِرَق المبتدعة، فكان الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم يواجهونها بإسقاط الآيات على هذه الفتن والفِرَق المبتدعة، التي كانت تكيد للدين الإسلامي وتعمل على تحريف ما جاء به وتشويه سنته ﷺ، منها تطبيقهم قوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر: 30-31]، على فتنة مقتل عثمان بن عفان ﷺ، قال فيها ابن عمر: "نزلت علينا هذه الآية وما ندري ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة، فقلنا هذا الذي وعدنا ربنا أن نختصم فيه"[1].

ومنها تطبيقهم قوله تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} [آل عمران:7]، على الخوارج، فكان قتادة ﷺ إذا قرأ هذه الآية قال: "إن لم يكونوا الحرورية[2] والسبائية[3] فلا أدري من هم"[4] فكان تنـزيل هؤلاء للآيات على الواقع نتيجةً لحرصهم على الإسلام وردّ تلك الفرق الضالة، ذلك أنّها تشكل خطرا كبيرا على الأمة.

ثانيا : طور التأصيل :

وفي هذه المرحلة تعدّى التفسير القاعدة الصلبة وكانت هذه المرحلة في نهاية القرن الثالث، حيث أرسى وأسّس قواعدها إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري، حيث زاوج بين الاتجاهين الأثري و اللغوي مع إضافاته في مجال الاستنباط والترجيح ، وهذه الخطوة الأخيرة تبرز موضوع تنـزيل الآيات على الواقع جلياً ومثاله في قوله تعالى :{ إِنَّ شَانِئَكَ

1_ أخرجه الطبري في تفسيره، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (202/20)، تحقيق عبد الله التركي، جار هجر، ط2001/1م.

2_ الحرورية: فرقة من الخوارج، وسبب هذه التسمية خروجهم عن علي بن أبي طالب ونزولهم بحروراء أول أمرهم وهو موضع بظاهر الكوفة، ينظر معجم البلدان (245/2)، مقالات الاسلاميين، (207/1).

3_ السبئية: فرقة شيعية تنسب إلى عبد الله بن سبأ، يدّعون أنّ علياً ﷺ لم يمت وانه يرجع قبل يوم القيامة، فيملأ الأرض عدلا وأنه في السحاب ...إلى غيرها من الادّعاءات الباطلة، ينظر: الشهرستاني، الملل و النحل، (177/1).

4_ أخرجه الطبري في تفسيره، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (207/5).

هُوَ الأَبْتَرُ}، [الكوثر: 3]، قال رحمه الله، وقوله { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ} يعني بقوله جلّ ثناؤه "إنّ شانئك" أي أنّ مبغضك يا محمد وعدوّك، هو الأبتر، يعني بالأبتر: الأقّل الأذّل المنقطع دابره الذي لا عقب له .

واختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم : العاص بن وائل السهمي[1]... وقال آخرون هو: عقبة ابن أبي معيط[2]... وقال آخرون: بل عُنِيَ بذلك جماعة من قريش، وأولى الأقوال عندي بالصواب أن يقال:_ إنّ الله تعالى_ أخبره أنّ مبغض رسول الله ﷺ هو: الأقّل، الأذّل، المنقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه[3].

فكل مبغض لدين الإسلام محارب له منقطع منهزم هالك، سواء كان في عهد النبي ﷺ، أو من جاء بعده في زمن آخر إلى قيام الساعة .

ثالثا : طور التفريغ .

انتقل المفسرون في هذه المرحلة من التأصيل إلى التفريع والتنويع، حيث صار المفسرون يتوسعون في تفاسيرهم ويوردون الكثير من المسائل والقضايا .

يقول الشيخ محمد حسين الذهبي عن هذه المرحلة: "وإنا لنلحظ في وضوح وجلاء، أنّ كل من برع في فن من فنون العلم يكاد تفسيره على الفنّ الذي برع فيه "[4] ، وفي هذه المرحلة بلغ موضوع التنـزيل درجة أكبر من ذي قبل إلا أنها كانت في شكل إشارات يسيرة منثورة في التفاسير على تمايز اهتمامات المفسرين، تحت تأثير الإطار الزماني والمكاني كتفاسير المغاربة أمثال : القرطبي وابن العربي، التي نلحظ فيها كثرة التنـزيل على الواقع

1_ هو العاص بن وائل السهمي والد الصحابي عمرو بن العاص من المستهزئين من حكام قريش مات بعد ورم في رجله لم يُدْرَ ما سببه، الزركلي، الأعلام(11/4).

2 - هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ،أبو الوليد وكنيته ابن أبي معيط هو أشدّ المبغضين للمسلمين، من أسرى بدر، قتله النبي ﷺ صبرا ،الأعلام للزركلي (4/ 240).

3_ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (697/24 إلى 701)، بتصرف .

4_ محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسرون، (109/1)، نشر مكتبة وهبه، ط2000/7م

نظرا لاهتمام علماء تلك المنطقة بفقه النوازل، أمّا من الناحية الزمانية، نراه يكاد ينعدم في العصر المملوكي بسبب الضعف الذي نخر عظام هذه الأمّة في شتى مجالات الحياة حتى سمي بعصر الجمود .

رابعا : طور التجديد :

بقي المفسرون من القرن الرابع هجري حتى الرابع عشر هجري، وهم يُفرِّعون ويتفننون في تفاسيرهم، كُل حسب الفن الذي مَهَرَ فيه، ممّا أدّى إلى نشوء هوّة كبيرة بين النص القرآني والواقع المعاش، أمر جعل من الإنسان البسيط بعيداً كل البعد عن معاني القرآن ومراد الله تعالى من كتابه، وأحالته أن يجعل القرآن منهجا يسير عليه في حياته، فكان الفهم والتطبيق العملي حكرا على العلماء وطلاب العلم، ما دفع بالشيخ محمد عبده [1]، إلى نبذ هذا المنهج الجاف والدعوة للتجديد في التفسير، تفسير حيوي يلائم حاجة العصر وروحه ويعالج قضاياه وذلك بالاستفادة من العلوم والمعارف الثقافية المعاصرة، وتوسيع أبعاد معاني الآيات القرآنية، وإحسان تنـزيلها على الواقع الذي تعيشه الأمة والعمل على حل مشاكلها، وفق هدي القرآن الكريم .

يصف أحمد أمين[2]، طريقة الشيخ محمد عبده في تفسيره للقرآن فيقول: "كان يقرأ الآية فإذا اتصلت بالعقيدة شرحها شرحا وافيا عارضا ما ورد في القرآن، وإذا اتصلت الآية بالأخلاق أبان أثر هذا الخلق في صلاح الأمم وضياعه في فسادها، وإذا اتصلت بحالة اجتماعية أوضح أثر هذه الحالة الاجتماعية في حياة الأمم مسترشدا بالواقع مستشهدا بما يجري في العالم، في بيان متدفق، ولسان ذلق، وصوت جميل أخّاذ فهو تفسير عملي يشرح الواقع ويبين سببه، وهو أخلاقي يدعوا للعمل على مبادئ الإسلام"[3]، وهذه النظرة إنما هي

1_ هو:محمد عبده بن حسن خير الله مفتي الديار المصرية، من كبار رجال التجديد و الإصلاح في الإسلام له تفسير القرآن الكريم ولم يتمه/الأعلام للزركلي(252/6).

2_ أديب وناقد وكاتب مصري، ولد بالقاهرة1886م، اشتهر بوضعه أول موسوعة في الفكر العقلي ت 1954م له مؤلفات عدّة منها: ضحى الإسلام، فجر الإسلام./ خليل أحمد خليل، موسوعة أعلام العرب، (97/1-98).

3 _أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص329، دار الكتاب العربي، لبنان، (د_ط)، (د_ت).

مستقاة من أستاذه جمال الدين الأفغاني[1]، الذي دعا إلى استثمار النص القرآني وقد سار وفق هذه الطريقة الجديدة تلاميذه - أي محمد عبده – ومن تأثر بمنهجه أمثال: محمد رشيد رضا[2]، ابن باديس[3]، سيد قطب وغيرهم.

1 _ هو محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين، فيلسوف الإسلام في عصره وأحد الرجال الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة توفي سنة 1897/الأعلام للزركلي (168/6).

2 _محمد رشيد بن رضا بن محمد شمس الدين، البغدادي الأصل، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتّاب والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، له تفسير القرآن الكريم ولم يكمله /الأعلام للزركلي(126/6).

3_ هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين، أصدر مجلة الشهاب، وكان شديد الحملات على الاستعمار، له تفسير القرآن الكريم ، توفي بقسنطينة 1940م /الأعلام للزركلي (289/3).

المطلب الثالث : حكمه وضوابطه.

تنزيل الآيات على الواقع هو ما اصْطُلِحَ على تسميته التفسير بالرأي المحمود وعليه فأدلة جوازه نحو الآتي :

1_ قوله تعالى: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[محمد: 24]، فهذه الآية صريحة في الدعوة إلى تدبر القرآن و النظر في معانيه، وإعمال العقل فيه.

2_ لو منعنا التفسير بالرأي لنفينا أغلب تفاسير الصحابة والتابعين التي جلُّها مردُّها الاجتهاد، يقول ابن عاشور رحمه الله:"لو كان التفسير مقصورا على بيان معاني مفردات القرآن، من جهة العربية لكان التفسير نزرا، ونحن نشاهد كثرة أقوال السلف من الصحابة فمن يليهم، وما أكثر ذلك الاستنباط برأيهم وعلمهم"[1]

3_ ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة قال:"قلت لعلي هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن"[2]، وقد دعا النبي ﷺ لعبد الله بن عباس فقال:"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[3].

فلو كان التفسير بالرأي ممنوعا لما دعا النبي ﷺ لابن عباس بهذا الدعاء .

ومن الأدّلة التي تؤكد جواز التنـزيل على الواقع صنيعه ﷺ، ممّا رواه بريدة بن الحصيب ﷺ حيث قال :(خطبنا رسول الله ﷺ فأقبل الحسن والحسين ﷺ عليهما قميصان

1 _محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، (28/1).

2_ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: يستأسر الرجل ومن لم يستأسر ومن ركع ركعتين عند القتل، (372/2)، رقم3047.

3_ أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم، باب ذكر وصف الفقه والحكمة اللذين دعا المصطفى ﷺ لاين عباس بهما، (531/15)، رقم7055 .

أحمران يعثران ويقومان فنزل فأخذهما فصعد بهما المنبر ثم قال: صدق الله {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ }[التغابن: 15]، رأيت هذين فلم أصبر ثم أخذ في الخطبة) [1].

وتنزيل الآيات على الواقع يكون من قبيل المحمود إذا توفرت فيه الشروط الآتية:

1-الموضوعية:

وذلك بأن يكون مُنصِفا سليما في مقصده متجردا من الهوى أو العصبية المذهبية وكذا من نحا هذا المنحنى مما لا يمدّ للقرآن بصلة، فما كان خلاف ذلك رُدّ على قائله، واعتبر من القول المذموم، ومثاله ما ذكره الدكتور صلاح الخالدي في صفات وآداب المفسر:" أن لا يكون صاحب هوى أو غرض خبيث، وأن لا يكون صاحب بدعة لئلا يُحرّف معاني آيات القرآن، كي توافق هواه أو تتفق مع بدعته"[2]، وكذا ما يفعله كثير من الناس بواسطة التنـزيل وسيلة لتحقيق مآربهم، يطمسون المعاني الحقيقية للآيات بإستشهادات وتنـزيلات فاسدة، عن طريق مناصبهم ونفوذهم، باستغلال ذوي القدرات لِما يخدم مصالحهم خلافا لشريعة الله تعالى[3] .

2- العلم وقوة التأصيل الشرعي: فيوجد من ينزل القرآن على عصره، دون منطلق شرعي ثابت، وإنما بجهل منه، فيجب أن يكون عارفا بأصول التفسير وقواعده، ومن ذلك معرفة معهود العرب في الخطاب[4].

1 _أخرجه أبو داوود في سننه،كتاب الصلاة، باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث(233/1)رقم1233، قال الشيخ الألباني: صحيح، صحيح و ضعيف الترمذي ص 191 .

2_ صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص62، دار القلم، دمشق، ط3، 2008م.

3 _صلاح الخالدي، تصويبات في فهم بعض الآيات، ص180، دار القلم دمشق، ط1، 1987 م.

4 _:لابد في فهم الشريعة من إتباع معهود الأميين، و هم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فاءن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، و إن لم يكن ثمَّ عرف ، فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه، و هذا جار في المعاني و الألفاظ والأساليب /انظر: الشاطبي الموافقات، (2/ 131).

3 - التعرف على أسباب النزول :

إنّ توقف نزول بعض القرآن على حوادث ووقائع، يجعل من القرآن الكريم نصوصا حيّة يحتاج إليها الناس، كلما تكررت تلك الحوادث والوقائع[1]، فهي السبيل الموصل والمساعد لفهم الآية وبالتالي التمكن من التنـزيل الصحيح، فهي أشبه ما تكون بنماذج ووسائل إيضاح مُعِينة لإيضاح تطبيق النص وتنـزيله على الواقع، على اعتبار العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

4- فقه الواقع :

أي أن تكون له رؤية لأحوال العالم المعاصر بالإضافة إلى الوقوف على مظاهر الانحراف المختلفة فيه، ومن ثم يعرف كيفية المقابلة بين الآيات وواقعه المعاش، ويُحسِن فهم الآيات التي تتحدث على الانحرافات، حتى لا يخطئ تنـزيلها على واقعه، يقول ابن القيم رحمه الله في معرض تفصيله وشرحه لقوله الإمام أحمد رحمه الله:"لا ينبغي للرجل أن ينّصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال، منها : معرفة الناس"، يشرح ابن القيم هذه الخصلة بقوله: فهذا أصل عظيم يحتاج إليه المفتي والحاكم، فإن لم يكن فقيها فيه، فقيها في الأمر والنهي، ثم يطبق إحداهما على الآخر و إلا كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح فإنّه إذا لم يكن فقيها في الأمر، له معرفة بالناس، تصور له الظالم بصورة المظلوم وعكسه، وراج عليه المكر والخداع والاحتيال.. وهو لجهله بالناس، وأحوالهم ، وعوائدهم وعرفّياتهم لا يميز هذا من هذا، بل ينبغي له أن يكون فقيها في معرفة مكر الناس وخداعهم واحتيالهم وعوائدهم وعرفّياتهم، فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال، وذلك كله من دين الله[2].

1 _الحسين جلو، منهج القرآن التربوي في ضوء أسباب النزول، ص249.

2_ ابن القيم، بدائع التفسير، (2 / 288)، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1427هـ ، ت يسري السيد محمد.

5 - الثقافة العلمية المعاصرة :

على المفسر الإلمام بالعلوم الحديثة المعاصرة المستجدة، وأن يكون مشبعا ثقافة علمية متنوعة وشاملة ليعرف معاني الآيات العلمية وغيرها ويوسع أبعاد النظر والتأمل فيها.

المطلب الرابع : أنواعه وفوائده

من يتصفح تفاسير المفسرين، الذين اعتنوا بهذا اللون، يجدهم اختلفت طرائقهم في ذلك وتنوعت بأشكال عدة، يمكن حصرها في اعتبارين هما :

أولا : باعتبار التصريح والتلميح : وهو على نوعين :

1 - تنزيل التصريح : وهو إبراز المفسر للمعنى المراد من الآية واضحا جليا، وأنه واقع في زمانه، فيعبر فيها بتعبيرات مختلفة عند تفسير الآية بقوله: " ومن نظر في أحوال عصره" أو"من تأمل أحوال العالم"، وما شابهها من العبارات التي تفيد تصريح المفسر لما يكون في عصره مطابقا لمقتضى الآية الكريمة، ومثاله ما جاء عن الإمام ابن القيم في قوله تعالى :{ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون :59]، قال: "فمن تدبر هذه الآية، ونزّلها على الواقع تبين له حقيقة الحال وعَلِمَ من أي الحزبين هو، والله المستعان" [1].

2 - تنزيل التلميح: وهو تعريض وإشارة المفسر إلى أنّ المعنى من الآية كائن في زمانه وحاصل دون التصريح بذلك بل يكون على سبيل التلميح، وذلك قد يكون نتيجة ظروف سياسية يمر بها المفسر أو محنة عصيبة تجعله يضطر إلى عدم التصريح مخافة الإيذاء والتنكيل به، أو منعا منه لحصول الفتنة، فيتخذ من القرآن منفذا لتوجيه الناس وربطهم بكتاب الله، من ذلك ما ذكره سيد قطب رحمه الله لَمّا ذكر قوله تعالى : {وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ} [الأعراف: 90]، فنزل الآية على ما يؤاسيه ويحصل له من التهديدات والمؤامرات التي تقام ضده من طرف الحانقين عليه وخصومه فيقول: "إنها ملامح المعركة التي تتكرر ولا تتغير، إنّ الطواغيت يتوجهون أولا إلى الداعية لِيَكُفّ عن الدعوة، فإن استعصم بإيمانه وثقته بربه واستمسك بأمانة التبليغ، ولم يرهبه التخويف بالذي يملكه الطغاة من الوسائل، تحولوا إلى الذين اتبعوه يفتنونهم عن دينهم بالوعيد والتهديد ثم بالبطش و العذاب، إنهم لا يملكون حجة على باطلهم، ولكن يملكون

1_ ابن قيم الجوزية ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ،(6 /113)، دار بن الجوزي ، ط1 ، 1423هـ.

أدوات البطش والإرهاب.."[1] وقد يساق التنـزيل أيضا نتيجة لأسباب أخرى كالحرص على التقريب بين طوائف المسلمين، وعدم التفريق بينهم فيشير إلى هذه الطوائف تلميحا لا تصريحا.

ثانيا: باعتبار الجزئية والكلية: وهو على ثلاث أنواع:

1 - تنزيل كلي: هو ربط المفسر الآية بما يطابقها في واقعه مطابقة تامة، ومثاله ما ذكره القرطبي رحمه الله عند قوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا }[الإسراء : 45]، ما ذكره عن امرأة أبي لهب، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ قالت: (لَمّا نزلت سورة تبت يدا أبي لهب، أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر[2] وهي تقول :

"مذمّما أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا "

والنبي ﷺ قاعد في المسجد ومعه أبو بكر ﷺ ، فلمّا رآها أبو بكر قال: يا رسول الله، لقد أقبلت، وأنا أخاف أن تراك قال الرسول ﷺ: (إنها لن تراني وقرأ قرآنا فاعتصم به كما قال: وقرأ { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} فوقفت على أبي بكر رضي الله عنه ولم تر رسول الله ﷺ..) [3].

وبعد ذلك نزّل القرطبي الآية على موقف حصل له شخصيا لَمّا جدّ الأعداء في طلبه، قال رحمه الله:"ولقد اتفق لي ببلادنا الأندلس بحصن منثور من أعمال قرطبة مثل هذا، وذلك أني هربت أمام العدو وانحزتُ إلى ناحية عنه فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان وأنا في فضاء من الأرض قاعدا ليس يسترني عنهما شيء وأنا أقرأ أول سورة يس وغير ذلك من القرآن، فعبرا علي ثم رجعا من حيث جاءا وأحدهما يقول للآخر:

1_ سيد قطب، في ظلال القرآن، (1322/3)، دار الشروق، القاهرة، ط32، 2003م.

2 _ الفهر:بالكسر، الحجر مطلقا/ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،(353/13).

3 _أخرجه الحاكم في مستدركه، (428/2)،كتاب التفسير، باب و من تفسير سورة بني إسرائيل، رقم 3434، قال فيه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

هذا دِيَبْلُه، - يعنون شيطانا - وأعمى الله ﷻ أبصارهم فلم يروني، والحمد لله حمدا كثيرا على ذلك "[1].

2 - تنزيل جزئي : هو ربط المفسر الآية بما يطابقها في واقعه مطابقة جزئية – أي ما يطابق جزءا من معناها - ومثاله ما ذكره الفخر الرازي في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [التوبة: 4]، حيث نزل جزء من الآية – مع احتوائها على أكثر من جزء – واقتصر على قوله تعالى: { لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ }، دون التعريج على بقية أجزاء الآية وتنـزيلها، فوضّح حال رؤساء اليهود والنصارى وحرصهم على أكل أموال الناس بالباطل، وأعقبهم بما يماثل ويشابه هذا الحال في مجتمعه فقال رحمه الله: "ولعمري من تأمل أحوال أهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الآية كأنها ما أنزلت إلا في شأنهم، وفي شرح أحوالهم، فترى الواحد منهم يدّعي أنه لا يلتفت إلى الدنيا ولا يتعلق خاطره بجميع المخلوقات، وأنّه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين، حتى إذا آل الأمر إلى الرغيف الواحد تراه يتهالك عليه ويتحمل نهاية الذلّ والدناءة في تحصيله"[2].

3 - تنزيل على ما يخالف معنى الآية : حيث يذكر المفسّر ما يجري في واقعه خلافاً لما أمرت به الآية – أي تنزيلا عكسيا – ومثاله ما ذكره ابن العربي في معرض كلامه عن الخشوع المفقود في الصلاة عند قوله تعالى:{الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } [المؤمنون:2]، ذكر قول الإمام مالك في المراد بالخشوع – أي الإقبال عليها وقول مقاتل رحمه الله " لا يعرف من على يمينه ولا من على يساره"، ثم عقّب بذكر حال بعض الناس في زمانه الذين يشتغلون بأمور غيرهم وينسون أنفسهم، فقال رحمه الله:" صليت المغرب ليلة ومعنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان المغربي الزاهد، فلما سلّمنا تمارى رجلان، كانا على يمين أبي عبد الله المغربي فجعل أحدهما يقول للآخر، أسأت صلاتك،

1_ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (13 /93 ، 94)، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط1، 2006م، محمد رمضان عرقسوسي.

2 _الفخر الرازي، تفسير الرازي، (16 /43)، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، 1981م.

ونقرت نقر الغراب، و الآخر يقول له: كذبت بل أحسنتُ وأجملتْ فقال المعترض لأبي عبد الله الزاهد ألم يكن إلى جانبك فكيف رأيته يصلي، فقال أبو عبد الله: لا علم لي به، كنت منشغلا بنفسي وصلاتي عن الناس وصلاتهم، فخجل الرجل وأعجب الحاضرون بالقول"[1].

و مثاله ما ذكره ابن باديس، بعد تفسيره قوله تعالى:{ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }[النحل: 125]، حيث نزل الآية تنـزيلا عكسيا على واقعه قائلا:"و أكثر الخطباء في الجمعات اليوم، في قطرنا، يخطبون الناس بخطب معقدة، مسجعة طويلة، من مخلفات الماضي، لا يراعى فيها شيء من أحوال الحاضر، و أمراض السامعين، تلقى بترنيم وتلحين، أو غمغمة وتمطيط، ثم كثيرا ما تختم بالأحاديث المنكرات، أو الموضوعات .."[2].

بعد ذكرنا لهذه الجملة من الأنواع يمكن استقاء بعض الفوائد والثمرات من تنـزيل الآيات على الواقع، وهي بإيجاز على النحو الآتي :

1– بيان أهم الوقائع التاريخية زمن المفسر: فلكل عصر من عصور التاريخ الإسلامي نخبة من العلماء تعرضوا لتفسير كتاب الله، وتناول كل منهم في تفسيره ما يوافق ثقافته وانتماءه لتلك البيئة واحتياجات الناس في ذلك العصر،"ولذلك فإن من أراد أن يؤرخ لحالة المسلمين الثقافية والاجتماعية والاعتقادية والأخلاقية والفقهية والمذهبية، فإنه يستطيع أن يستخرج الملامح العامة لتلك الحالة في كل عصر من خلال دراسته الفاحصة، لتفاسير ذلك العصر"[3].

2 – تحديد رأي المفسر إزاء هذه الواقعة المستجدّة : فمن خلال طرحه للحادثة في عصره في تفسيره، يظهر موقفه منها إمّا تأييدا أو إعراضا ومثاله: ما ذكره المفسر رشيد رضا رحمه الله في تفسير قوله: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ

1 _ابن العربي، أحكام القرآن، (3 /313)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط2، 2003م .
2_ ابن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص 324، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1995م.
3 _صلاح الخالدي، المنهج الحركي في الظلال، ص168، دار عمار، عمان الأردن، ط2، 2000م.

أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[المائدة: 42]، وضح أنّ السحت عند السلف من معانيه الرشوة التي فشت بكثرة في عصره، حتى لعلماء الدين، فيما أنهم ماثلوا أحبار اليهود الذين يأكلون السحت، نزل الآية عليهم قائلا: " فإن كثيرا ممن يعدهم المسلمون من أحبارهم، ورؤساء الدين فيهم، وكثيرا من حكامهم الشرعيين والسياسيين، يكذبون كثيرا ويقبلون الكذب، ويأكلون السحت، حتى أنّهم يأخذون الرشوة من طلبة العلم ليشهدوا لهم زورا بأنهم صاروا من العلماء الأعلام ويعطونه ما يسمونه (شهادة العالمية)، كما يمنحهم حكامهم الرتب العلمية[1]، فربط هذه الآية بواقعة حصلت بين شيخه وأحد طلبة الأزهر تؤكد ما ذكره وهي: حين طلب أحد الطلاب من شيخه مساعدة في الامتحان مقابل بعض الجنيهات إلّا أن الشيخ لم يتمالك نفسه، رافضاً هذا الفعل الشنيع واعتبره غشا واحتيالا قائلا:"ولو كنتُ ممن يتساهل في هذا لكنتُ من أوسع الناس ثروة"[2].

ومن خلال طرح الإمام رشيد رضا لهذه الآية و ربطها بالواقع يظهر لنا إنكاره لمثل هذا الصنيع إنكارا قطعيا بجميع أصنافه.

3_ تقريب المعنى _الذي تتضمنه الآية_ للأفهام: فربط المفسر الآية بالواقع بعد إسهابه في ذكر تفسيرها وما يستنبط منها، يقرب المعنى للأذهان، ويكون أبلغ في الاستيعاب والامتثال بما في الآية بما احتوته من أوامر ونواهي .

4_ القضاء على الهوة الكبيرة بين المسلم و كتاب ربه سبحانه و تعالى: وذلك إلى ما يكون به هدايته و كذا صلاح الأمة وفلاحها، ويعيد للقرآن تلك السمة العملية الحركية، وتجسيده كمنهج حياة و واقع عملي يُنطَلَق ُمن خلاله .

1- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (338/6)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1995م.
2- المرجع نفسه، (338/6).

المبحث الثاني :علاقته ببعض مسائل علوم القرآن

المطلب الأول :علاقته بالحكمة من نزول القرآن منجما.

لم ينزل القرآن جملة واحدة، وإنماّ كان نزوله منجما لحكمة اقتضت ذلك يقول الشيخ متولي الشعراوي[1]:"وراء نزول القرآن مفرّقا منجّما حِكَم بالغة، يجب تدبرها، هذه الحكم ما كانت لتحدث لو نزل القرآن جملة واحدة"[2]، يقول المولىﷻ:{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)} [الفرقان: 32]، وقد تضمنت الآية حكمتين من نزول القرآن مفرقا :

أولا: تقوية فؤاد النبي ﷺ في مجال الدعوة إلى الله، فكان نزول القرآن عليه ﷺفترة بعد فترة، تثبيتا لقلبه على الحق، وما يلاقيه من عناد و جفاء المشركين، قال تعالى: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّـهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ} [الأنعام: 33،34] .

ثانيا: تيسير حفظه له، ذلك أنه كان أمِّيا لا يكتب ولا يقرأ، يقول ابن فورك:"قيل أنزلت التوراة جملة واحدة، لأنها نزلت على نبي يكتب ويقرأ وهو موسى، وأنزل القرآن مُفرقا لأنّه أنزل غير مكتوب على نبي أمي"[3].

وهناك حكم أخرى من تنجيم القرآن يمكن تلخيصها فيما يأتي :

ثالثا : التحدي و الإعجاز

وهذه الحكمة هي التي ردّ الله بها على اعتراض الكفار من تنجيم القرآن بقوله تعالى :{ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا }[الفرقان: 32]،"فإنّ تحديهم به مفرقا مع عجزهم عن الإتيان بمثله أَدْخَلُ في الإعجاز وأَبلغُ في الحجّة، من أن ينـزل جملة واحدة، فهو رغم

1_ محمد متولي الشعراوي، ولد5أفريل 1911، عالم دين ووزير أوقاف مصري سابق، يعد من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في العصر الحديث، توفي 17يونيو 1998م، من مؤلفاته: الإسراء و المعراج، الطريق إلى الله/محمد محجوب محمد حسن، محمد متولي الشعراوي من القرية إلى العالمية،ص 8-9.

2_ محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، (802/14)، (د-ط)، (د-ت) .

3_ هو محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري، الاصبهاني الشافعي، أبو بكر، عالم نيسابور، أصولي نحوي واعظ، ت 406هـ،من تصانيفه"تفسير القرآن"/ الزركلي، الأعلام ،(83/6).

نزوله منجما في نيف و عشرين سنة، إلاّ أنّك عندما تقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم دقيق، متين في أسلوبه، آخذ بعضه بأعناق بعض، لا تعارض بين آياته ومعانيه، ما يجعله أدلّ في إعجازه من ألفه إلى يائه، ليدلّ دلالةً واضحة أنه من عند الله العزيز المنان، قال تعالى :{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّـهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)}[النساء:82].

رابعا: مسايرة الحوادث والوقائع عصر التنزيل وهذا بنزول الآيات حسب الحوادث المستجدة، ومواكبة القضايا والوقائع في حينها، وذلك ببيان الله فيها وقت حدوثها، كما في قوله تعالى:{ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا} [الإسراء: 106]، وهذا إمّا تأييدا أو استدراكا وتقويما، بلفت أنظار المسلمين إلى تصحيح أغلاطهم وأخطائهم، إضافة إلى إرشادهم إلى الصواب والتوبة لربهم.

يقول سيد قطب رحمه الله :"فقد جاء هذا القرآن مفرقا وفق الحاجات الواقعية لتلك الأمة ووفق الملابسات التي صاحبت فترة التربية الأولى، والتربية تتم في الزمن الطويل وبالتجربة العملية في الزمن الطويل، جاء ليكون منهجا عمليا يتحقق جزءا في مرحلة الإعداد، لا فقها نظريا، ولا فكرة تجريبية تعرض للقراءة و الاستمتاع الذهني،وتلك حكمة نزوله متفرقا،لا كتابا كاملا منذ اللحظة الأولى" [1].

فالقرآن الكريم نزل منجما ليتدرج في تربية هذه الأمّة الناشئة علما وعملا وتهذيبا، وإعدادها الإعداد الجيد لحمل هذه الرسالة وحسن تبليغها، فكان تدرجه حكيما تحققت فيه الغاية المنشودة.

وعليه فتنزيل الآيات على الواقع، استجابة لهذه الحكمة وهي مسايرة الحوادث والوقائع، فتكون بمثابة نماذج و وسائل إيضاح يسير عليها المفسر في معالجة قضايا عصره، مقابلةً بوقائع عصر التنزيل، يذكر ابن باديس هذه الحكمة في معرض كلامه عن حكم تنجيم القرآن مبيناً نصيبنا من العمل بها في واقعنا المعاش حيث يقول:"فإذا حدث مرض قلبي أو اجتماعي طلبنا دواءه في القرآن، وطبّقناه عليه وإذا عرضت شبهة أو ورد

1_ سيد قطب، في ظلال القرآن، (2253/4).

اعتراض، طلبنا فيه الردّ والإبطال، وإذا نزلت نازلة طلبنا فيه حكمها، وهكذا نذهب في تطبيقه و تنـزيله على الشؤون و الأحوال، إلى أقصى حد يمكننا"[1] .

1_ ابن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص181.

المطلب الثاني : علاقته بصيغ أسباب النزول المحتملة.

اعتنى المفسرون في كتبهم بأسباب النزول وما يدور حولها، وكانت لهم فيها مؤلفات منها: أسباب النـزول للواحدي، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ومن سبقهم في هذا العلم أمثال: علي بن المديني شيخ البخاري .

وسبب النـزول كما عرّفه السيوطي هو:"ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه "[1]، أي أن ينزل قرآن ببيان ما يتصل بتلك الحادثة سواء كان بسؤال وُجِّهَ للنبي ﷺ أو حادثة وقعت في زمانه لحل النزاع الحاصل فيها .

ونزول القرآن على قسمين: ما نزل ابتداءً ولم يكن مرتبا على سبب خاص، وهذا أكثر القرآن، وما نزل عقب واقعة أو سؤال[2]، وغرضنا هو التفصيل فيما كان له علاقة بأسباب النزول .

وقد نال موضوع أسباب النزول قدرا كبيرا من عناية العلماء و المفسرين به، لما له من أهمية وفوائد تستقى منه بمعرفته:كمعرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم وتخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب و منها الوقوف على المعنى و إزالة الإشكال، ودفع توهم الحصر، ومعرفة اسم النازل فيه الآية، وتعيين المبهم فيها[3].

وأسباب النزول مصدرها توقيفي، إذ لا اجتهاد فيها لذلك قال الإمام الواحدي رحمه الله :"و لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها و جدّوا في الطِلاب" [4].

وبهذا يكون مرجعها إلى الرواية الصحيحة، أو المشاهدة والسماع عند الصحابة رضوان الله عليهم، لكن الأمر يُشكَلُ عندما نجد أن الصحابة والتابعين قد أنزلوا آيات على أفراد لم يكونوا حاضرين وقت النزول، ولم يكونوا سببا في نزول الآيات، كتنـزيل قتادة ﷺ،

1_ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (90/1)، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 2006م، تحقيق عبد الرحمان فهمي الزواوي.
2_ المصدر نفسه (87/1).
3_ الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (91/1، 94)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، بتصرف .
4_ الواحدي، أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ، ص4، عالم الكتب، بيروت، (د-ط)، (د-ت)، هبة الله ابن سلامة أبي النصر.

قوله تعالى:{ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ } [آل عمران: 7]، على الخوارج[1].

وتنـزيل ابن عمر ﷺ قوله تعالى:{ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)}[الزمر 30-31]، على فتنة مقتل عثمان ابن عفان [2].

علماً أن هذه الأحداث وقعت بعد مدة تفوق العشرين سنة، وقد أزال العلماء الأجِّلاء هذا الإشكال بتوجيههم بقول الصحابي التابعي"نزلت هذه الآية في كذا"، أن الواقعة ليست سببا في نزول الآية ، وإنّما هي داخلة في الحكم ومتضمنة لمعناه، يقول ابن تيمية رحمه الله:"قولهم نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة أنّ ذلك داخل في الآية، وإن لم يكن السبب، كما تقول عنى بهذه الآية كذا "[3]، يقول الزركشي رحمه الله :"قد عرف من عادة الصحابة و التابعين أنّ أحدهم إذا قال نزلت الآية في كذا فإنه يريد بذلك أنّ هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لا أنّ هذا كان السبب في النزول "[4]، وهذه العبارة قد تنازع العلماء فيها هل تجري مجرى المسند أم مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند، كالبخاري الذي يدخلها في المسند وغيره من يعتبرها من قبيل التفسير[5]، ولكن المفسر عند ذكره لهذه العبارة يكون مراده فيها إدخالها في معنى الآية، لا مقصده أنّ هذه الحادثة كانت هي سبب النزول، إلا ما يُصَرَّحُ فيها بلفظ السبب بالقول: (سبب نزول الآية كذا)فهو نص في السببية لا يحتمل غيره.

يقول السيوطي: "والذي يتحرر في سبب النزول، ما نزلت الآية أيام وقوعه"[6]، وبهذا يكون السيوطي قد مايز بين ما يكون في سبب النزول وذلك بنزول الآية عقب تلك الأسباب، وما يراد به التفسير أي ما يدخل في تفسير الآية، وانطلاقا من هذا تكون التنـزيلات من الصحابة والتابعين اجتهادات في غير ما نزل النص بسببه، بخلاف ما نزل النص بسببه فهو توقيفي لا اجتهاد فيه .

1_ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (207/5).
2_ المصدر نفسه، (202/20).
3_ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (182/13)، دار الوفاء، المنصورة، ط3، 2005م، ت: عامر الجزار و أنور الباز.
4_ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (31/1)، دار التراث، القاهرة، (د_ط)، (د_ت)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.
5_ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (182/13).
6_ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (94/1).

وهذا الاجتهاد هو معالجة لما يحصل في الواقع وفيه زيادة فهم للنص القرآني، وتقريب معناه للأفهام، لذلك نجد المفسرين يسقطون الآيات على واقعهم كل حسب عصره، يسقطونها على أنّها داخلة في معناها و متضمنة لها، يقول الزركشي رحمه الله : "والعالم قد يحدث له حوادث فيتذكر أحاديث و آيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة، وإن لم تكن خطرت له تلك الحادثة قَبْلُ، مع حفظه لذلك النص"[1]، فالمفسر يعيش أحداث عصره بكل تفاصيلها فمنها ما يحتاج حقيقة إلى ربطها بالقرآن الكريم، فالنوازل والمستجدات كثيرة،والمسلم يحتاج إلى معرفة حكمها و فهمها، لأنّها أمور لم تكن زمن نزول القرآن فبمجرد ربطها بالنص القرآني يتسع فهم المسلم لواقعه أكثر، ويتضح له موقف الشرع مما يحياه من مستجدات.

فالصّلة بين تنـزيل الآيات على الواقع، ومسألة صيغ أسباب النزول المحتملة وثيقة، ذلك أنهما يصبان في مصب واحد، ألا وهو فهم النص والواقع الذي يعتبر ضروريا لأي دعوة إصلاحية و إلا وضع الشيء في غير موضعه، وأسند الأمر إلى غير أهله، ولأجل تحصيل فقه سديد للوا قع، كان لِزاماً علينا فقه الدين ممثلا في الكتاب والسنة والفهم الصحيح لأسباب النزول وصيغها، ومن ثم فقه واقع المسلمين، وفقه المنهاج الموصل لتنزيل الآيات التنزيل المناسب للواقع وإحلاله فيه.

يقول الدكتور عبد الكبير الحميدي:"ولقد جاء الوحي بتصور شامل ومتكامل للحياة البشرية بكل أبعادها، ومناحيها ويسعى بذلك إلى التأسيس لواقع اجتماعي إنساني ينسجم مع نظرته إلى الوجود والحياة والإنسان، ولكن الوحي لا ينظر إلى الواقع نظرة نمطية واحدة، بل يميز فيه بين: ظواهر وجوانب إيجابية تنسجم مع تصوراته وتتماشى مع مقاصده، يمكن التعايش معها والبناء عليها، وأخرى سلبية لابد من إصلاحها أو تغييرها... والإنسان العالم هو المكلف بتنـزيل تصور الوحي للحياة البشرية في الواقع"[2]

1_ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (31/1).
2_ عبد الكبير الحميدي، فقه الواقع في العمل الإسلامي ضرورة حضارية، مجلة البيان، عدد2007/234م، ص18.

المطلب الثالث: علاقته بقاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

اتفق جمهور المفسرين على قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والتي معناها: مجيء الجواب أعمّ و أشمل من السبب، في مقابله يكون السبب أخصّ من لفظ الجواب وهو جائز عقلا وموجود واقعا فعليا[1]، وهذا العموم مع خصوص السبب مؤد للغاية، موف للمقصود وزيادة، لذا فقد ذهب جمهور العلماء إلى الاعتبار بهذه القاعدة، أي أنّ الحكم يتناول كل أفراد اللفظ، سواء منها أفراد السبب، و غير أفراد السبب، ومن أدلّة الاعتبار بعموم اللفظ ما يأتي:

1_ ما ذكره السيوطي وهو:احتجاج الصحابة ومن بعدهم في حوادث ونوازل بعموم تلك الآيات، رغم نزولها على أسباب خاصة[2]، وقد كان هذا الأمر شائعا ذائعا عندهم، من غير قياس أو استدلال بدليل آخر، يقول ابن جرير الطبري في تفسيره:"حدثني محمد ابن أبي معشر، أخبرنا أبي أبو معشر نجيح، سمعت سعيد المقبري يذاكر محمد بن كعب القرظي، فقال سعيد: إنّ في بعض كتب الله : إنّ لله عباد ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمرّ من الصبر، لبسوا لباس مسوك الضأن من اللبن، يجترّون الدنيا بالدين، فقال محمد بن كعب : هذا في كتاب الله: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّـهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ}[البقرة: 204]، فقال سعيد: قد عرفت فيمن أنزلت، فقال محمد بن كعب، إنّ الآية تنـزل في الرجل ثم تكون عامة بعد"[3].

2_ إذا أورد الشارع الحكم وهو مشتمل على صيغة من صيغ العموم فهو عام[4]، فعموم اللفظ عند الجمهور هو المعتبر، حتى وإن ورد على سبب خاص.

وهذه الخصيصة تجعل من القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، مع اختصاص نزوله في عصر النبي ﷺ، ذلك أنّ القرآن الكريم لم يأت محددا و معينا لأشخاص، ولا لأماكن، ولا لأي مقيدات، فالكلمات والتراكيب التي جاءت فيه، تخاطب الناس عامّةً، دون تقييد بزمن أو صنف أو طبقة أو جنس، وهذا ما يجعله أدلّ في عالميته،

1_ الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (105/1).
2_ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (90/1).
3_ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (575/3).
4_ الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (108/1).

ومواكبته لكل عصر وآن، ولا غرابة في ذلك فالله سبحانه وتعالى الذي أنزل القرآن الكريم وتكفل بحفظه، قد حفظ استمراره إلى قيام الساعة ومن الأمثلة التي يحتج بها أصحاب هذا القول: آية اللعان، التي نزلت في قذف هلال بن أمية زوجته، عن ابن عباس: أنّ هلال بن أمية قذف امرأته بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: البيّنة وإلاّ حدٌّ في ظهرك فقال: يا رسول الله ..إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا، ينطلق يلتمس البيّنة؟، فجعل رسول الله يقول: البيّنة وإلاّ حدٌّ في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إنّي لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحدِّ، ونزل جبريل فأنزل عليه:{ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ }[النور:6]، حتى بلغ:{ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ } [النور: 6]"[1]

وبما أنّ الحكم الذي يؤخذ من اللفظ العام يتعدى به من صورة السبب الخاص إلى نظائره وتكون الآية :{ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ }[النور:6]، التي لفظها عام مشتملة على غير حادثة هلال فيما يشابهها .

و بهذا الشرح الواضح يمكن الربط بين قضية تنـزيل الآيات على الواقع وقاعدة العموم، ونتيجة لما سبق ذكره من تحرير النصوص من قيود الزمان والمكان، وبيان عموم دلالتها، وعدم قصر النص على بعض أفراده، بل شموله له كله، تكون هذه القاعدة هي المعينة والمساعدة في قضية التنزيل، من حيث تلبيتها لحوادث ووقائع حصلت عصر التنزيل، ومعالجتها للمشاكل الحاصلة فيه، وباعتبار عموم دلالتها تكون منطبقة على الحالات والمشكلات المماثلة لها، في الأعصار التي تأتي بعدها، والأمثلة لدى المفسرين في اعتماد هذه القاعدة غير قليلة، نذكر منها ما ذكره سيد قطب في قوله تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا }[آل عمران:103]، ذكر أنه من أهم ركائز الأخوة الإسلامية، الاعتصام بحبل الله ودينه ومنهجه القويم، ومن ثم ذكر سبب نزول الآية، وأنّه في شأن الأوس والخزرج، وما فعله اليهود لنشر الفتنة بينهم..ثم بقول:"...على أنّ مدلول الآية أوسع مدى من هذه الحادثة، فهي تشي مع ما قبلها في السياق وما بعدها، أنّه كانت حركة دائبة

1_ أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير سورة النور، باب ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات، حديث رقم 4747 .

من اليهود لتمزيق شمل الصف المسلم في المدينة، وإثارة الفتنة والفرقة بكل الوسائل .. وهو دأب اليهود في كل زمان، وهو عملها اليوم وغدا في الصف المسلم، في كل مكان!"[1]

فأشار سيد هنا إلى عموم دلالة الآية، و تحررها متقيد الزمان والمكان، و انطباقها على الحالات المشابهة لها، فأفلت النص من سياقه الضيق إلى عالم واسع رحب، يخاطب كل الأجيال، و يخاطب كل الأمكنة، و يخاطب كل الأزمنة، وكذلك هو القرآن الكريم .

ويمكن طرح مسألة الاستشهاد بالآيات في غير ما أنزلت إليه، من تنـزيل الآيات التي سيقت للكافرين على المؤمنين، يقول الزمخشري:"وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين و فيها أوفر نصيبا للمؤمنين، تدبرا لها واعتبارا لموردها، يعني أنها في شأن الكافرين من دلالة العبارة وفي شأن المؤمنين من دلالة الإشارة"[2]، ولكن ذلك في حدود معينة أي أنّ تنـزيل الحكم بشيء من أوصاف الكفار على أحد العصاة، يكون من ناحية الفعل لا الوصف _أي صفة الكفر _.

و مثاله ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى :{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا}[الأحقاف: 20]" أنَّ عمر رضي الله عنه رأى في يد جابر بن عبد الله درهمًا فقال : ما

هذا الدرهم ؟ ، قال : أريد أن أشتري لحمًا لأهلي قَرِمُوا إليه.

فقال : أفكلما اشتهيتم شيئًا اشتريتموه ؟! أين تذهب عنكم هذه الآيةُ :{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا}[الأحقاف:20_] "[3].

والآية التي يستشهد بها أمير المؤمنين جاءت في سياق التقريع والتوبيخ للكافرين، وليست في سياق المؤمنين، قال تعالى :{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُون}[الأحقاف: 20]، ومع ذلك استشهد بها أمير المؤمنين ونزَّلها

1_ سيد قطب، في ظلال القرآن، (3/ 124،125).
2_ نقلا عن تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، (37/1).
3_ الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (111/4، 112)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1994، ت عادل أحمد عبد الموجود.

على أهل الإيمان، لا على سبيل تشبيههم بالكافرين، وإنّما من النصح والتنبيه إلى ما يغفل عنه المسلمون، وقد يتمادون فيه إلى ما هو عند الله عظيم .

الفصل الثاني:سيد قطب و منهجه في تنزيل الآيات على الواقع

ـ تأصيل ونماذج تطبيقية ـ

المبحث الأول: سيد قطب و منهجه في تنزيل الآيات على الواقع

المطلب الأول: ترجمة موجزة لحياة المفسر سيد قطب

المطلب الثاني: منهجه في تنزيل الآيات على الواقع

المطلب الثالث: القضايا المثارة في عصره من خلال تفسيره

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لتنزيل الآيات على الواقع من خلال الظلال

المطلب الأول: قضايا عقدية

المطلب الثاني: قضايا اجتماعية

المطلب الثالث: قضايا سياسية

الفصل الثاني: سيد قطب و منهجه في تنـزيل الآيات على الواقع
تأصيل ونماذج تطبيقية

المبحث الأول: سيد قطب ومنهجه في تنـزيل الآيات على الواقع.

المطلب الأول: ترجمة موجزة لحياة المفسر سيد قطب رحمه الله.

هو سيد قطب الأديب الناقد، والداعية المجاهد، والمفكر الإسلامي الكبير والمفسر الرائد، عليه رحمة الله ورضوانه، هيأ الله له الظروف ورسم له السبل، فحازت مؤلفاته مكانة عليا، منها تفسيره " في ظلال القرآن " الذي هو من أشهر التفاسير التي اعتنت بالاتجاه الدعوي الحركي وكان واضحا جليا فيها .

هو سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، ولد الأستاذ في قرية (موشا) إحدى قرى الصعيد في منطقة أسيوط، سنة 1906م في اليوم التاسع من أكتوبر الموافق لـ 1324هـ[1]. نشأ في بيت له نصيب معلوم من سعة العلم والثقافة، كما امتاز بصبغة دينية، التحق بالمدرسة الابتدائية، وبرز فيها جده واجتهاده وأكمل هذه المرحلة سنة1918م ثم غادر الأستاذ قريته (موشا) ليكمل دراسته بالقاهرة حيث التحق بكلية دار العلوم وتخرج منها سنة 1933م حاملا شهادة الليسانس في الأدب واللغة وقد اشتدّ ساعده في هذه المرحلة على التأليف والكتابة وهو طالب، فألف أبحاثا تبشر بناقد كبير .

بعد تخرجه من دار العلوم تمّ تعيينه مدرسا لوزارة المعارف، ثم مفتشا بها ثم خبيرا تربويا، ولم يكن دوره مقتصرا أو حكرا على التدريس والتفتيش فقط بل امتد فكان فعالا في الثورة، حيث حرّر الكثير من المقالات وألقى العديد من المحاضرات، انتقد فيها المناهج العملية التي كان غير راض عنها، وبعد خلافات أكاديمية بينه وبين جال الوزارة، اضطر للاستقالة سنة 1952م.

أتاح الله له في شبابه فرصة التعرف على الأديب عباس العقاد، الذي فسح له الطريق لينهل من مكتبته الضخمة فراح سيد يغترف منها بشغف ونهم، حتى ارتقى سيد عالم النقد الأدبي وأصبح في مقدمة روادّه تمّ إيفاده من طرف وزارة المعارف في مهمة علمية إلى أمريكا عام 1948م، ومكث بها سنتين، حيث عاد إلى مصر سنة 1950م، وقد تبلورت

[1] _ الزركلي، الأعلام، (3 / 147)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 2002م.

اهتماماته الأدبية، إلى دعوية إصلاحية وفق نبراس إسلامي هادف ومنطلق إسلامي واضح[1].

في نفس الوقت بلغت جماعة الإخوان المسلمين ذروة نشاطها وقوتها، وكان صديقا لها، كما له ور كبير في الإعداد للثورة، ولكن بعد نشوب خلافات بين رجال الثورة وجماعة الإخوان ومحاولة رجال الثورة القضاء على الإخوان، انضم إلى جماعة الإخوان ونشط في الواجبات الدعوية والإعلامية والثقافية معهم وفي سنة 1954م، صار عضوا عاملا فيها .

وبعد اصطدام جماعة الإخوان مع حكومة الثورة، اعتقل أعضاؤهم ومن بينهم سيد قطب[2]، حيث حكم عليه بخمسة عشر سنة وأفرج عنه سنة 1964م، بعفو صحِّي، بعد تدخل الرئيس العراقي عبد السلام عارف، لكنه لم يهنأ طويلا خارج القضبان فما لبث أن عاد إلى السجن، بحكم التآمر لقلب نظام الحكم، وذاق سيد ألوانا من العذاب الشديد، وأصدر في حقه حكم الإعدام، بحكم جائر صادر من المحكمة العسكرية ونُفِّذ فيه الحكم قبيل الفجر، يوم الإثنين 13 جمادى الأولى سنة 1386هـ الموافق لـ 1966م، من اليوم التاسع والعشرين من أوت عن عمر يناهز الستين عاما .

رحم الله سيد قطب ونرجوا من الله أن يكون قد نال الشهادة في سبيله، رحل سيد وترك تراثا ضخما ظلَّ وسيظل ينبض بفكره، وعلى رأسها تفسيره:" في ظلال القرآن"[3]، وقد ألَّف سيد سِتاً وعشرين كتابا أهمها : 1- التصوير الفني القرآن وهو أول كتاب إسلامي له، 2- مشاهد القيامة في القرآن 3- خصائص التصور الإسلامي ، 4- الإسلام ومشكلات الحضارة ، 5- في ظلال القرآن ، 6- نحو مجتمع إسلامي ، 7- معالم في الطريق وهو آخر كتاب صدر في حياته سنة 1964 م .

من أجمل ما قال سيد: " إنَّ القرآن ليس كتابا للتلاوة والثقافة وكفى...إنّما هو رصيد من الحيوية الدافعة، وإيحاء متجدد في المواقف والحوادث، ونصوصه مهيأة للعمل في كل

[1] _ صلاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد على الاستشهاد، ص 15-16، دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت، ط2، 1994م. / محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص 250، المكتب الإسلامي، ط3، 1990م.

[2] _ صلاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد على الاستشهاد، ص 17 .

[3] _ صلاح الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن، ص 25- 26 ، دار عمار، عمان الأردن، ط2، 2000م.

لحظة، متى وجد القلب الذي يتعاطف معه، ويتجاوب، ووجد الظرف الذي يطلق الطاقة المكنونة في تلك النصوص ذات السرّ العجيب"[1].

ومن شعره رحمه الله ما يبين ما بنى عليه رسالته:

أخــي إنني مــا ســئمت الكفاح ولا أنا ألقيت عنــي السلاح

وإن طوقتني جيوش الظــلام فإني على ثقـــة بالصبــاح

وإني علـى ثقــة مــن طـريقي إلى الله رب السنا والشروق

فإن عافني الســـوق أو عقّني فإني أمين لعهـــدي الوثيق

أخــي أخــذوك علــى إثــرنا وفوج إلى اثــر فــوج جديد

فـإن أنــا مـت فــإنــي شهيــد وأنت ستمضي بنصر جديد[2]

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، (2836/5).

[2] سيد قطب، ديوان سيد قطب، ص291_292، جمعه ووثقه د:عبد الباقي حسين، نشر دار الوفاء، (د_ط)، 1988م.

المطلب الثاني : منهج سيد في تطبيق الآيات على الواقع.

حفل عصرنا بكوكبة كبيرة من المجددين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وثبتوا على الحق الذي آمنوا به ودعوا الناس إليه، وصبروا على كل نصب وأذى في سبيل هذا الدين، ووجدوا من التفاف الناس حولهم واستجابة لرسالتهم النبيلة ووثقوا بهم أشد الثقة، ومن بينهم الأستاذ سيد قطب صاحب تفسير " في الظلال القرآن " والذي نحن بصدد بيان طريقته في تفسيره، الذي أظهر فيه لمسة جديدة وذوقا متفردا في النظر والتأمل في كتاب الله ﷻ، وفهمه واستخراج جواهره ودرره ومعرفة الحِكَم التي نزل من أجلها القرآن الكريم.

وتجربة سيد تعدُّ من التجارب الفريدة وقفزة نوعية ونقلة نموذجية بتاريخ القرآن في تفسيره، حيث قام فيها بالتحام مباشربالقرآن، بالرجوع إليه وحده دون سواه حيث يقول: "فينبغي أن يقف المفسرون عندما أراده السياق، احتفاظا بالجو الذي أراده، والجو يوحي بأنه كان يخشى شيئا عليهم، ويرى في دخولهم من أبواب متفرقة اتقاء لهذا الشيء مع تسليمه بأنه لا يغني عنهم من الله من شيء، فهو لا يزيد شيئا في الموضوع، سوى أن يجد الرواة والمفسرون بابا للخروج عن الجو القرآني المؤثر إلى قال وقيل، ممّا يذهب بالجو القرآني كله في كثرة الأحايين" [1]، ونعلم مما سلف ذكره أنّ المفسر، أراد أن يجعل من كتاب الله منهج حياة، ودستورا للوحدة بين المسلمين، فلم يشأ رحمه الله، أن يكون ممن يُحجَبُ عنهم نور القرآن بسبب ما يولونه من اهتمامات ثانوية تخرجهم عن جو النص القرآني .

يقول هو عن نفسه: " كل ما حاولته ألا أغرق نفسي في بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية تحجب القرآن عن روحي، وتحجب روحي عن القرآن"[2].

وبعد غوصه في معاني كلام الله تعالى، والاكتفاء به عما سواه، وإدراكه بَعد النظر في القرآن وبعد دراسة فاحصة للواقع، أدرك اتساع الهوّة بين مراد الله تعالى ومع عليه الأمة، فسعى لتطبيق آيات الله تعالى في مجتمعه وربطها بواقعه يقول: " وانني لأهيب بقرّاء هذه الظلال، ألاّ تكون هي هدفهم من الكتاب، إنّما يقرؤونها ليدنوا من القرآن ذاته، ثم ليناولوه عند ذلك بحقيقته، ويطرحوا عنهم هذه الظلال، وهم لن يتناولوه في حقيقته إلاّ إذا

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، (4/ 2018).
[2] المرجع نفسه، (4/ 2018).

وقَّفُوا حياتهم كلها على تحقيق مدلولاته، وعلى حفظ المعركة مع الجاهلية باسمه وتحت رايته" [1]

ومن هنا يظهر جليا أنّ من الأهداف التي كان يصبوا إليها، العمل على إزالة الفجوة العميقة بين المعاصرين وكتاب ربهم سبحانه وتعالى وجعله قريبا من واقعهم، لمِا يراه سيد من زوالٍ لتلك اللحمة التي كانت تميز عصر نزول القرآن، والرسول ﷺ بين ظهرانيهم والروحانية التي كانت تحفهم، فاتخذ من أسباب النزول بابا لتطبيق الآيات على الواقع، حيث إنّه كان لا يقصر الآية على السبب الخاص الذي نزلت فيه، بل يعمم دلالتها وأحكامها لتحيط بمختلف الحالات المماثلة لها على اختلاف الأعصار والأماكن وهو بذلك يتفق مع جمهور العلماء في تقعيده القاعدة العامة في أسباب النزول وهي: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيذكر القاعدة ويُطبّقها على الآيات، مع معرفته للحالات الخاصة التي نزلت فيها الآية، و مثاله في قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّـهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّـهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّـهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨)}[المائدة: 87 – 88].

فاعتمد القاعدة العامة وانتهجها بعد إيراده المرويات المذكورة في سبب نزولها، وهدفه منها بقوله:" وتذكر بعض الروايات أن هاتين الآيتين والآية التي بعدهما – الخاصة بحكم الإيمان – قد نزلت في حادث خاص في حياة المسلمين على عهد رسول الله ﷺ ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإن كان السبب يزيد المعنى وضوحا ودقة"[2]، فلم يقصر سيد الآيات على زمن نزولها فقط، ولم يجعل لدالتها خاصة بأشخاص مخصوصين أو زمان مكان محددين، واعتبر عموم دلالتها ومعانيها وأنها تنطبق على كل عصر من العصور، وكان حريصا في التعريج على الواقع المعاصر الذي نعيشه، ومعالجته لأحداثه والمجريات الكائنة فيه وتوجيهه لأموره.

وقد لاحظ سيد هذه المهمة العملية والسمة التي امتاز بها القرآن الكريم، فعمل على انتهاج قاعدة البعد الواقعي للنصوص وعموم دلالتها من خلال قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكان دائما يشير إلى الآيات في تفسيره، وأنّها تلبي حاجات واقعية في

[1] المرجع السابق، (2039/4).
[2] المرجع نفسه، (2/ 970) .

المجتمع الإسلامي الأول، وهي بعموم دلالتها وعبارتها وتحررها من قيود الزمان والمكان صالحة لتطبيقها على الحالات المشابهة لها في كل عصر وآن[1]، ومثاله في تفسيره قوله تعالى:{ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: 204]، حيث ذكر فيها من اختلافات المفسرين حول مدلول الآية، وأنّها خاصة ومقتصرة على الصلاة المكتوبة، أو خاصة بالصلاة على عمومها المكتوبة منها، وغير المكتوبة، وذكر الروايات التي تشهد لكلا الرأيين ومن ثم عقب بترجيحه بانطلاقه من قاعدة العموم فقال:" ونحن لا نرى في أسباب النزول التي وردت، ما يخصص الآية بصلاة مكتوبة وغير المكتوبة، ذلك أن العبرة بعموم النص لا بخصوص السبب، والأقرب أن يكون ذلك عاما لا يخصصه شيء فالاستماع إلى هذا القرآن والإنصات له – حيثما قرئ – هو الأليق بجلال هذا القول، وبجلال قائله سبحانه" [2]، فاتخذ من البعد الواقعي للنصوص وعموم دلالتها، قاعدة من قواعد منهجه بالتفسير، حرّر فيها النصوص من ظروف الزمان والمكان، وأعطاها دلالة تجعل منها منطبقة على كل زمان ومكان، ومن ثم نزّلها على الواقع المعاصر، وأكّد انطباقها عليه ومعالجتها لما فيه ما يعتريه .

طريقة سيد قطب في تنزيل الآيات على الواقع :

عند إمعان النظر في تفسير الظلال، نجد أنّ سيد رحمه الله نزّل الآيات على الواقع بطريقتين هما: التصريح والتلميح، لكن أغلب تنـزيلاته للآيات قد انتهج فيها طريقة التلميح نظرا لما كان يعانيه في عصره من ظلم واضطهاد وتهديد، وكل المحاولات التي تهدف إلى تنحيته في مسار الدعوة إلى الله، وفوق كل هذا أنّ فترة تأليفه للظلال قضى معظمها في السجن وتحت سيطرة السلطان، الذي كان بصفته معاديا لجماعة الإخوان المسلمين والتي كان الشيخ سيد قطب منتميا لها، "ومنها الحرص على التقريب بين طوائف المسلمين وعدم التفريق بينهم وذلك بعدم التصريح بأصحاب الآراء والمعتقدات الباطلة من بعض الطوائف المعاصرة التي تنتسب إلى الإسلام وإنما يشير إليها تلميحا لا تصريحا" [3].

[1] _ صلاح عبد الفتاح الخالدي، المنهج الحركي في ظلال القرآن، ص169.
[2] _ سيد قطب، في ظلال القرآن،(3/ 1425).
[3] _ عبد العزيز الضامر، تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، ص 85.

وهذا ما دعاه إلى انتهاج طريقة التلميح في أغلب تنزيلاته، ونذكر أمثلة منها:

1- التلميح : في تفسير قوله تعالى:{ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ } [طه: 78_79]، عند ذكره لمصطلح _الطغاة_ أشار تلميحا إلى موقفه من حكام عصره بقوله:" هذه هي العبرة التي يبرزها السياق بذلك الإجمال وبتتابع المشهدين بلا عائق من التفصيلات، ليستيقنها أصحاب الدعوات، ويعرفوا متى يرتقبون النصر من عند الله وهم مجردون من عدة الأرض، والطغاة يملكون المال والجند والسلاح".[1]

2_ التصريح: في تفسير قوله تعالى:{ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّـهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨)}[الجاثية:8].

بينّ أنّ هذه الآية نزلت في شأن الكفار حين دعوتهم للإسلام و حالهم في مقابلة هذه الدعوة بالاستكبار، فربط هذا الجزء من الآية بحال الأمة اليوم، يقول سيد:"وهذه الصورة البغيضة و لو أنها صورة فريق من المشركين في مكة، إلا أنها تتكرر في كل جاهلية، و تتكرر اليوم وغدا، فكم في الأرض وبين من يقال إنهم مسلمون، من يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها، لأنها لا توافق هواه، و لا تسير مع مألوفه، ولا تعاونه على باطله، ولا تقره على شره، ولا تتمشى له مع اتجاه!"[2].

[1] _سيد قطب، في ظلال القرآن، (2345/4).
[2] _المرجع نفسه، (3225/5).

المطلب الثالث : القضايا المثارة في عصره من خلال تفسيره الظلال

مرّ سيد قطب رحمه الله بالعديد من المجريات والقضايا في عصره والتي كانت بارزة في تفسيره، حين نظر في حال أمته وقد أنهكها التقليد الأعمى للحضارة الغربية، فآلمه منها ما يحزّ في نفس كل مسلم غيور على دينه، لمّا رأى تدهور حال المسلمين وتفشي الانحلال الخلقي فيهم، أدرك أن أمته تحتاج للعلاج، وعلم بأن صلاح هذه الأمة لا يكون إلا برجوعها إلى كتاب ربها، وجعله نهجا تسير وفقه في حياتها .

والذي يتصفح الظلال يجد صاحبه قد فصّل للمرحلة التي عاشها والهدف الذي كان يسموا إليه من ذلك، وهو بلورة المعتقدات الفاسدة فيها وإحلاله محلها الهدي والفلاح بنور القرآن وسنة الحبيب المصطفى ﷺ.

وأبرز السمات التي كانت متفشية في الفكر العربي: الغزو الفكري نتيجة سلسلة الهزائم والنكسات التي شهدتها الأمة الإسلامية إثر الحروب والحملات التي شُنَّت عليها في هذا العصر كالاحتلال البريطاني لمصر، ما أصاب المسلمين بالإحباط والوهن والتخاذل العقدي والاجتماعي، وجعلتهم يركنون إلى الواقع مكبلين بجميع وسائل العجز، وسلبت قدرتهم على الصمود والثبات فأصبح عندهم استنساخ تام للفكر الغربي، وهو الأمر الذي أدى إلى تفسخ هذه الأمة وانسلاخها عن المقومات والمبادئ التي كانت تسير وفقها في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم وغير ذلك، الذي في معظمه أصبح تمثيلا لتبعية عمياء وفقد للوعي، يقول سيد قطب رحمه الله: "والذي يقف في وجه المجتمع ومنطقه السائد وعرفه العام، وقيمه واعتباراته، وأفكاره وتصوراته وانحرافاته ونزواته يشعر بالوهن ما لم يكن يستند إلى سند أقوى من الناس وأثبت من الأرض وأكرم من الحياة"[1]، ويقول أيضا: "ولقد جاء الإسلام لينشىء أمة يسلمها قيادة البشرية لتنأى بها عن التيه وعن الركام فإذا هذه الأمة اليوم تترك مكان القيادة، وتترك منهج القيادة، وتلهث وراء الأمم الضاربة في التيه، وفي الركام الكريه"[2].

[1] _ سيد قطب، معالم في الطريق، ص 147، (د-ط)، (د-ت).
[2] _ سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي، ص18، (د-ط)، (د-ت).

ومن القضايا البارزة في ذلك العصر قضية المرأة وما يشوبها من ضبابية، خاصة وهو في زمن يُرَوَّجُ فيه إلى تحرير المرأة من جميع القيود نتيجة الاحتلال الغربي والغزو الفكري وكذا ادعاء تسترها تخلفا إضافة إلى مشكلة دورها في المجتمع وعلاقتها بالرجل،وهي من القضايا التي اعتنى بها سيد نتيجة لجهل كل من الطرفين بالمهمة التي أنيط بها وكلفه بها الإسلام .

كما دعا سيد المرأة إلى إتباع شرع ربها في كل ما يحيكه الغرب حولها من مغريات تدعوها إلى العصرنة ومواكبة الجديد والانفلات عن قيم الإسلام .

كما عاش سيد في زمن ظلم الحكام واستبدادهم، وقد كان رافضا لهذا كله لدرجة أنه كان يسميهم الطغاة فيظهر هذا جليا من خلال تعرضه لتفسير الآيات التي تتعلق بموضع الألوهية والربوبية والعقيدة والحكم والسلطة، ويؤكد فيها أن مصدر الحاكمية هو الله، ومثاله ما ذكره في تفسير قوله تعالى: { فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ } [طه: 78-79]، فذكر كيف ينصر الله عباده المؤمنين وأنّه أوحى إلى موسى أن يخرج بالنفر المؤمنين ليلا ويتخذ البحر طريقا للنجاة ثم راح يذكر تفاصيل هذه المعركة وكيف أنّ أهل الإيمان عندما استيقنت قلوبهم بالله ثم لم ينتابهم أي خوف ولا ذعر لأنهم خرجوا من ظل فرعون وطغيانه إلى عزّة الإيمان ثم يقول: "هذه هي العبرة التي يبرزها السياق بذلك الإجمال وبتتابع المشهدين بلا عائق من التفصيلات، ليستيقنها أصحاب الدعوات، ويعرفوا متى يرتقبون النصر من عند الله وهم مجردون من عدة الأرض، والطغاة يملكون المال والجند والسلاح" [1].

فقد أطلق سيد في تفسيره لهذه الآية للطغاة وهذا في شكل إشارة يلمح فيها إلى موقفه منهم في عصره.

وقد ابتلي هذا العصر بعلماء السوء الذين يعلمون مراد الله ثم يحرفونه تحقيقا لغاياتهم، منها نصرة السلطان الظالم الذي يدّعي حق التشريع وحق الألوهية في وسط التيه الذي تعيشه أمة الإسلام والجهل المطبق عليها فكانت سهلة الانقياد وراء تلك الادعاءات، قال سيد: "وكم من عالم دين رأيناه يعلم حقيقة دين الله ثم يزيغ عنها ويعلن غيرها ويستخدم

[1] _ سيد قطب، في ظلال القرآن، (4/ 2345).

علمه في التحريفات المقصودة، والفتاوى المطلوبة لسلطان الأرض الزائل يحاول أن يثبت بها هذا السلطان المعتدي على سلطان الله وحرماته في الأرض جميعا لقد رأينا من هؤلاء من يعلم ويقول: " إن التشريع حق من حقوق الله – سبحانه – من ادعاه فقد ادعى الألوهية، ومن ادعى الألوهية فقد كفر، ومن أقر له بهذا الحق وتابعه عليه فقد كفر أيضا ومع ذلك ومع علمه بهذه الحقيقة، التي يعلمها من الدين بالضرورة فإنه يدعوا للطواغيت الذين يدّعون حق التشريع ... "[1].

هنا يتبين شديد معارضة سيد لما يسمى تلاعبا بعقول الناس ودين الله سبحانه وتعالى، وهو من أفضع الأمور التي يقوم بها الإنسان وبخاصة إذا أمّنه الناس واعتبروه مفتيا لما يصلح أحوالهم في دينياهم .

هذه وقفات مجملة عما كان يحيط بسيد في عصره من قضايا تمس أمته والتي كانت في معزل عن الهدى الذي رسمه الله سبحانه وتعالى للبشرية والتي دستورها القرآن الكريم.

ويعتبر تناول سيد قطب لهذه الأمور وتحديد موقفه منها بمثابة الدعوة إلى الإصلاح ووضع السبل نحو الهداية من خلال معرفة المجتمع الإسلامي كيفية مواجهة الحياة الحاضرة والتصرف مع الأوضاع الراهنة.

[1] _ المرجع السابق، (3/ 1398) .

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية من تنزيل الآيات على الواقع عند سيد قطب

إنّ السبيل لنهوض هذه الأمة هو فقه واقعها الذي تعيشه بكل مجرياته وبأدق تفاصيله كما لا يتأتى ذلك إلا بتتبع ما يجري في الظرف المعيش والوضع الحاصل، إذ أن الواقع هو مناط التغيير والإصلاح، " إن تغيير الواقع وإصلاح ما به من فساد واختلال وإخضاعه لتصورات الإسلام وقيمه وأحكامه يشكل عاملا مهما من عوامل قيام حركة البعث الإسلامي المعاصر وغاية من أكبر غاياته"[1]، إذ أنّ التغيير والإصلاح يبدأ بالفرد و الأنفس، ثم الأسرة فالمجتمع، فالله سبحانه و تعالى يبين ذلك في كتابه الكريم:{ إِنَّ اللَّـهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ }[الرعد: 11]، ونجد المفسر الملهم سيد قطب قد اعتنى بهذا في تفسيره وجعله من أسمى مراميه، فسعى لتطبيق الآيات على الواقع لأنها السبيل الأمثل لحل المعضلات الموجودة في المجتمعات الإسلامية، ذلك أن القرآن الكريم نهج حياة في كل عصر من العصور.

وهذه نماذج مختارة من تفسير "الظلال" يبرز فيها انتهاج سيد قطب لتنـزيل الآيات على الوقائع، على القضايا المثارة في عصره:

المطلب الأول: قضايا عقدية.

أولا: في الشرك ومظاهره :

1_قال تعالى : {هَـٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)} [إبراهيم: 52].

بعد تفسير سيد لهذه الآية بين أن النطق بالشهادتين وحده دون الخضوع لله فعلا في جميع شؤون الحياة، والخضوع لشرائع لم يأذن بها الله، فإنهم بهذا وضعوا أوامر الله جانبا والتفتوا إلى ما تمليه عليه أصنامهم، حتى وإن ظنوا أنفسهم مسلمين، كان لزاما عليهم الاستفاقة من هذا الشرك، وبينّ حال إبراهيم مع قومه في دعوتهم إياهم، تجنب عبادة الأصنام وصور الشرك بالله بكافة أنواعها، وإخلاص الحاكمية لله وحده في جميع ميادين الحياة، ومن ثم عقَّب ببيان أحوال الناس اليوم من إخلاص الحاكمية لله عز وجل حتى في

[1] _ عبد الكبير الحميدي، فقه الواقع في العمل الإسلامي ضرورة حضارية، موسوعة مجلة البيان، عدد 2007/234م، ص 18.

أدنى المطالب المعنوية وأحوالهم معها حيث يقول:"والأمثلة الحاضرة في حياة البشر اليوم، تعطينا المثال الواقعي للشرك في أعماق الطبيعة، إن العبد الذي يتوجه لله بالاعتقاد في ألوهيته وحده، ثم يدين لله في الوضوء والطهارة والصلاة والصوم والحج وسائر الشعائر بينما هو في الوقت ذاته يدين في حياته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لشرائع من عند غير الله...يدين في أخلاقه وتقاليده وعاداته وأزيائه لأرباب من البشر... إنّ هذا العبد يزاول الشرك في أخص حقيقته[1] ويخالف عن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله في أخص حقيقته، وهذا ما يغفل عنه الناس اليوم فيزاولونه في ترخص وتميع، وهم لا يحسبونه الشرك الذي كان يزاوله المشركون في كل زمان ومكان!"[2] فنزل الآية على الواقع من جهة مخالفة الناس لهذا المعنى من إخلاص الوحدانية لله عز وجل.

2_في تفسيره لقوله تعالى : {وَجَعَلُوا لِلَّـهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠)} [إبراهيم: 30].

بينّ سيد حال الناس في هذه الآية، الذين يجعلون لله أقرانا يعبدونه كعبادته، وجعلوا هذه الأقران لتضليل الناس عن الحق، وإخراجهم من إفراد الله سبحانه وتعالى واختصاصه بالدعوة واللجوء إليه، على إشراك آخرين معه يزيغون أبصارهم عن الحق المبين، وأشار إلى حال الناس اليوم من استخدام شرائع البشر ودساتيرهم بدل دستور العزيز العليم حيث يقول:"ومنها اليوم اتخاذ شرائع من عمل البشر، تأمر بما لم يأمر به الله ، وتنهي عما لم ينه عنه الله، فإذا وضعوها في مكان الند لله في النفوس المضلة عن سبيل الله وفي واقع الحياة، فيا أيها الرسول قل للقوم : تمتعوا ...تمتعوا قليلا في هذه الحياة على الأجل الذي قدره الله والعاقبة معروفة"، فإن مصيركم إلى النار"[3] .

3_في قوله تعالى:{ مَا جَعَلَ اللَّـهُ مِن بَحِيرَةٍوَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَـٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّـهِ الْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣)} [المائدة 103]

---

[1] _ يعتبر سيد قطب هنا الألوهية و الربوبية عنده متلازمان، لأن الربوبية من خصائص الألوهية، كما أن الحاكمية تندرج ضمن الربوبية لأن الرب هو المربي و المصلح، و هذا هو معنى الحاكمية، و في نهاية الأمر فإن الربوبية الحاكمية تقودان إلى الألوهية، فالله هو الرب والحاكم سبحانه./صلاح الخالدي، في ظلال القرآن في الميزان،ص 175.

[2] _ سيد قطب، في ظلال القرآن (4 / 2114-2115).

[3] _ المرجع نفسه، (2105/4).

فسر سيد هذه الآية وبين معنى كل من البحيرة[1] والسائبة[2] والوصيلة[3] والحام[4]، وإنها مجموعة الأنعام التي يقدمونها قربانا لآلهتهم، في شروط معينة، مأخوذة من أوهام وخرافات لا أساس لها، وأنها من ظلال الوثنية المخيمة على العقول التي غطتها عن الحقيقة واليقين وجعلتها تهيم في جاهلية عمياء، وبين كيف أن هذه الجاهلية متمكنة متواجدة في كل زمان ومكان وليست مقتصرة على فترة من الزمان، وإنما هي كائنة عبر العصور في ألوان شتى يقول رحمه الله:"وإننا لشهيد اليوم - بعد أربعة عشر قرنا من نزول هذا القرآن بهذا البيان- أنه حيثما انفك رباط القلب البشري بالإله الواحد تاه في منحنيات ودروب لا عداد لها، وخضع لربوبيات شتى..ولقد شهدت في هذا الجانب وحده في صعيد مصر وريفها العديد من الأوهام تطلق لها بعض صنوف لأولياء القديسين، في ذات الصورة التي كانت تطلق بها الآلهة في الزمان في القديم !"[5].

ثانيا: في الولاء و البراء: في قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّـهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)} [المائدة: 51-52].

بين سيد في تفسير لهذه الآية معنى الولاية المنهي عنها، وهي التناصر والتحالف معهم لا إتباعهم في دينهم .

وبين أنّ أمرها كان ملتبسا على المسلمين فظنوا أنهم جائز لهم لما كان بينهم وبين اليهود في بداية الدعوة للإسلام في المدينة وأن لا يكون إلا لله ورسوله ولجماعة المسلمين، وأن المسلم عليه، أن يعاملهم بسماحة ومودة، ثم يربط سيد هذه المعاني من الآيات بما في الواقع، فيقول:"وهذه الحقائق يغفل عنها السذج منا في هذا الزمان وكل زمان حين يفهمون

[1] _البحيرة:الإبل يمنع درّها للطواغيت، و قال أهل اللغة:الناقة التي إذا ولدت عشرة أبطن، تشق أذنها، فتُسيّبُ فلا تركب و لا يحمل عليها/ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص37.

[2] _ السائبة:الإبل كانوا يسيبونها لطواغيتهم/ الجصاص، أحكام القرآن (153/4).

[3] _الوصيلة: الناقة التي تبكر بالأنثى ثم تثني بالأنثى، فيسمونها الوصيلة، يقولون : وصلت اثنتين ليس بينها ذكر فكانوا يذبحونها لطواغيتهم/ المصدر نفسه، (153/4).

[4] _الحام: الفحل من الإبل، كان يضرب الضراب المعدود، فإذا بلغ ذلك، يقال :حمى ظهره فيترك/ المصدر السابق، (153/4).

[5] _سيد قطب، في ظلال القرآن، (910/2).

أننا نستطيع أن نضع أيدينا في أيدي أهل الكتاب في الأرض للوقوف في وجه المادية والإلحاد – بوصفنا جميعا أهل دين ! – ناسين تعاليم القرآن كله، وناسين تعاليم التاريخ كله، فأهل الكتاب هؤلاء الذين كانوا يقولون للذين كفروا من المشركين: {هؤلاء أهدى من الذين ءامنوا سبيلا } وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين ألّبوا المشركين على الجماعة المسلمة في المدينة.. وأهل الكتاب هم الذين يشردون المسلمين في كل مكان زمان..في الحبشة وفي الصومال وأريتريا والجزائر ويتعاونون في هذا التشريد مع الإلحاد والمادية والوثنية في يوغسلافيا والصين والتركستان والهند وفي كل مكان"[1].

فوضح سيد أنّ واقع المسلمين يشهد عدم فهم لكيفية معاملة اليهود والنصارى ناسين مكائدهم للمسلمين في الماضي والحاضر، وأنهم مستمرون عليه، والمطلوب من المسلمين معاملتهم بسماحة ومودة ولا يتمادون في ذلك حتى يصل إلى درجة الولاء لهم .

ثالثا: في التشبه باليهود والنصارى واتباعهم: قال تعالى {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّـهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّـهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)} [البقرة: 120_].

ذكر أنهم لا يرضيهم شيء إلا ترك الحق واتباعهم..ثم بدأ بالتطبيق على الواقع فقال:"إنها العقدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان .. إنها هي العقيدة، هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة "[2].

وبين أنّ هؤلاء لما علموا تمسك المسلمين بدينهم وعقيدتهم لما وجّهوا عداءهم نحو العقيدة، غيروا طريقتهم في العداء وانتهجوا نهجا آخر وهو إعلانها باسم الأرض والاقتصاد والسياسة والمراكز العسكرية.. فهذا محل مصداقية الآية ومدى ارتباطها بالواقع عند سيد حيث يقول: "وألقوا في روح الغافلين منّا أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها.. ذلك كي يأمنوا جَيَشَان العقيدة وحماستها.." فصرح سيد هنا بما يخفيه اليهود والنصارى من الخبث والكيد للمسلمين وإنهم لا يزالون عليه حتى في حاضرنا إلا أنهم

[1] _ المرجع السابق، (910/2).
[2] _ المرجع نفسه، (108/1).

يتسترون وراء مسميات أخرى ليخدعوا بها المسلمين وإنها ليست من العقيدة في شيء.. ثم يقول:"فإذا نحن خدعنا بخديعتهم لنا فلا نلومنّ إلّا أنفسنا"[1].

[1] المرجع السابق، (108/1).

المطلب الثاني: قضايا اجتماعية .

أولا: في الآداب : قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }[النور:28 -27]

بين سيد في تفسيره لهذه الآيات آداب الدخول إلى البيوت، فيكون بالاستئذان والذي يترتب على عدمه الاطلاع على العورات والمفاتن فالبيوت محل سكن وطمأنينة أهلها، ثم صور حياة الناس في الجاهلية حيث كانوا يدخلون البيوت دون استئذان فتقع أعينهم على عورات أهل البيوت، وأن الله جعل الاستئذان والاستعداد لاستقبال الزائر، ثم بين ضوابط الاستئذان وأحكامه والحكمة منه، ثم ذكر عدد روايات مفادها أن النبيﷺ كان حريصا على الاستئذان وإلقاء السلام وكيف كان يُعلِّمُ الصحابة آدابه فكانوا حريصين على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم والامتثال لأوامره، ثم طبق الآيات على الواقع الذي عليه المسلمون قائلا: "ونحن اليوم مسلمون ولكن حساسيتنا بمثل هذه الدقائق قد تبلدت وغلظت، وإن الرجل ليهجم على أخيه في بيته، في أية لحظة من لحظات النهار، ويطرقه فلا ينصرف أبدا حتى يزعج أهل البيت فيفتحوا له، وقد يكون في البيت هاتف (تلفون) يملك أن يستأذن عن طريقه قبل أن يجيء ليؤذن له أو يُعلَمَ أن الموعد لا يناسب، ولكنه يهمل هذا الطريق ليهجم في غير أوان، وعلى غير موعد، ثم لا يقبل العرف أن يرد على البيت... ونحن اليوم مسلمون ولكننا نطرق إخواننا في أية لحظة من موعد الطعام فإن لم يقدم لنا الطعام وجدنا في أنفسنا من ذلك شيء ...ذلك أننا لا نتأدب بأدب الإسلام، ولا نجعل هوانا تبعا لما جاء به رسول الله ﷺ إنما نحن عبيد لعرف خاطئ ما أنزل الله به من سلطان"[1].

فربط سيد هذه الآية بالواقع مباشرة ونزلها تنـزيلا عكسيا على واقع المسلمين وعلى طريقة التصريح بقوله: "ونحن اليوم..."

ثانيا:في وأد البنات : قوله تعالى {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨)} [النحل: 58]

[1] _ المرجع السابق، (2510/4).

فسّر سيد هذه الآية وصور عادات الجاهلية في وأدهم للبنات وكراهتهم لولادتهن وبين انحرافات العقيدة التي كانت سائدة بينهم و بعدهم عن العقيدة الصحيحة التي تقر أنّ الرزق بيد الله تعالى وأن الأنثى أصيلة في نظام الحياة ..ثم التفت للواقع وما يرى فيه من تطابق مع هذه الآية فقال :"وكلما انحرفت المجتمعات على العقيدة الصحيحة عادت تصورات الجاهلية تطل بقرونها...وفي كثير من المجتمعات اليوم تعود تلك التصورات إلى الظهور، فالأنثى لا يرحب بمولدها كثير من الأوساط وكثير من الناس، ولا تُعامل معاملة الذكر من العناية والاحترام، وهذه وثنية جاهلية في إحدى صورها، نشأت من الانحراف الذي أصاب العقيدة الإسلامية "[1].

ثالثا: في الأخلاق :

1_قوله تعالى : {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)} [الأنعام: 44-45].

فسر سيد هذه الآية وبين أنّ الابتلاء على صنفين : ابتلاء بالشدة وابتلاء بالرخاء والمؤمن شاكر لربه في الرخاء وصابر له في الشدة، وأن الأمم لما كذبت الرسل ونست ما ذكرت به ابتلاهم بالبأساء والضراء فلم يتضرعوا..إلا هؤلاء فقد استدرجهم بفتح أبواب كل شيء عليهم بعد الابتلاء ..ففرحوا بتلك الخيرات واستغرقوا في المتاع، ثم ذكر أنّ هذا كله سبب في فساد النظم والأوضاع بعد فساد القلوب والأخلاق، وأشمل من هذا كله فساد الحياة كلها، عندها أهلكهم وهم في سهوة وغفلة، فكان هلاكهم من أَجَلِّ نعم الله، وهي تطهير الأرض من الظالمين ..ثم يقول:"ولقد كان لهذه الأمم من الحضارة وكان لها من التمكين في الأرض، وكان لها من الرخاء والمتاع، مالا يقبل – إن لم يزد في بعض نواحيه – عما تتمتع به اليوم مستغرقة في السلطان والرخاء والمتاع مخدوعة بما هي فيه خادعة لغيرها ممن لا يعرفون سنة الله في الشدة والرخاء"[2]، فهي أمم لا تعلم سنة الله ولا تعلم أنه يستدرجها، فادّعت خصائص ألوهيته وعبثت في الأرض فسادا.

[1] _المرجع السابق، (2178/4).
[2] _ المرجع السابق، (1091/1).

فقد وجه سيد نَظَرهُ إلى عبث الأمم اليوم مقارنة بالأمم السابقة والتي هو بصدد الحديث عنها فنوّه أن ما كان موجودا سابقا هو حال الأمم الضالة اليوم، ثم ذكر أنه لما كان في أمريكا، رأى مصداق قوله:{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ}فيقول: "كنت أرى غرور القوم بهذا الرخاء الذي هم فيه، وشعورهم بأنه وقف على (الرجل الأبيض) ، وطريقة تعاملـهم مع الملونين في عجـرفة[1] مرذولة، وفـي وحشية كذلك بشعة! وفي صلف[2] على أهل الأرض كلهم لا يقاس عليه صلف النازية[3]، تجاه الملونين في صورة أشد وأقسى! وبخاصة إذا كان هؤلاء الملونين من المسلمين..كنت أرى هذا كله فأذكر هذه الآية فأتوقع سنة الله"[4]. ويشير سيد بعد كلامه هذا أن العذاب النفسي والشقاء الروحي والشذوذ الجنسي والانحلال الخلقي الذي نراه اليوم والقضايا الأخلاقية والسياسية..كلها علامات على نهاية المطاف .

فقد رجع سيد في تفسيره لهذه الآية إلى الواقع بشكل واضح وصريح لما يتبين له من مصداقية لها مع ما يراه في حياته.

2_ قوله تعالى:{ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّـهُ وَلَـٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤) }[النحل:33-34] ، أتى هذا السؤال للمشركين من قريش نتيجة استكبارهم وعتوهم عن أمر الله وأن ما أصاب من قبلهم من المكذبين عبرة لهم ومثل ، فطبق سيد هذه الآية، على من بعدهم وما يبدر منهم من مكر واستكبار فقال : وعجيب أمر الناس فإنهم يرون ما حل بمن قبلهم ممن يسلكون طريقهم ، ثم يظلون سائرين في الطريق غير متصورين أن ما أصاب غيرهم يمكن أن يصيبهم ، وغير مدركين أن سنة

---

[1] _ عجرفة:الجفوة في الكلام والخرق في العمل والسرعة في المشي / ابن منظور، لسان العرب، (234/9).

[2] _ الصلف:مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والإدعاء،والإدعاء فوق ذلك تكبرا/ المصدر نفسه، (196/9).

[3] _ النازية:هي حركة سياسية تأسست في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى ،حيث تمكن المنتمون للحرب القومي الاشتراكي العمالي الألماني تحت زعامة أدولف هتلر من الهيمنة عام 1933م على السلطة في ألمانيا، وإنشاء ما يسمى بدولة الزعيم والمملكة الثالثة التي أثارت الح ع2/موسوعة ويكيبيديا www.wekipid.com

[4] _ سيد قطب، في ظلال القرآن، (1091/1).

الله تمضي وفق ناموس مرسوم وأن المقدمات تعطي دائما نتائجها ، وأن الأعمال تلقي دائما جزاءها وأن سنة الله لن تحابيهم ولن تتوقف إزاءهم ، ولن تحيد عن طريقهم "[1].

3_قوله تعالى : {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦)}[الأعراف: 146_].

فسر الآية وبين كيف أعلن الله عن مشيئته في أولئك الخلق الذين يرون آيات الله شاخصة أمامهم، ولا يستيقنون بها ولا يؤمنون، وكيف حالهم مع الغواية وإتباعها، وأنه سيصرفهم عن آياته فلا ينتفعون بها، وسبب ذلك هو نكرانهم وجحودهم بآيات الخالق جل وعلا، ثم يوضح سيد أن هذه السمات نلحظها في كل عصر، و أنها تكون شاخصة أمامنا وواقعة بكل حيثياتها فربطها بواقعه مبينا بقوله:" وإنّ الإنسان ليصادف هذا الصنف من الخلق بوصفه هذا وسمته وملامحه، فيرى كأنّما يتجنب الرشد ويتبع الغي دون جهد منه ودون تفكير ولا تدبير! فهو يعمى عن طريق الرشد ويتجنبه، وينشرح لطريق الغي و يتبعه!، وهو في الوقت ذاته مصروف عن آيات الله لا يراها ولا يتدبرها ولا تلتقط أجهزته إيحاءاتها وإيقاعاتها!، وسبحان الله!، فمن خلال اللمسات السريعة في العبارة القرآنية العجيبة، ينتفض هذا النموذج من الخلق شاخصا بارزا حتى ليكاد القارئ يصيح لتوه: نعم . نعم أعرف هذا الصنف من الخلق إنه فلان!!، وإنه للمعني الموصوف بهذه الكلمات !!![2].

رابعا: في الشذوذ الجنسي : قوله تعالى:{ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) }[الأعراف: 80-81].

فسر سيد هذين الآيتين وبين أن الله أعطى البشرية طاقة لامتدادها، فإذا هم يضعونها في غير موضع الإخصاب، ذلك أنها شهوة شاذة، لأنها على غير ما سنه الله، فهي انحراف وفساد فطري، ثم نزل سيد حقيقة ما في هذه الآية على الواقع في أوربا وأمريكا قائلا:" فهذه هي الجاهلية الحديثة في أوروبا وفي أمريكا ينتشر فيها هذا الانحراف الجنسي الشاذ انتشارا

[1]_ المرجع السابق، (1270/4).
[2]_ المرجع نفسه ، (3 /1372).

سريعا بغير ما مبرر، إلاّ الانحراف عن الاعتقاد الصحيح وعن منهج الحياة الذي يقوم عليه، وقد كانت هناك دعوى عريضة من الأجهزة التي يوجهها اليهود في الأرض لتدمير الحياة الإنسانية لغير اليهود بإشاعة الانحلال العقدي والأخلاقي..كانت هناك دعوى عريضة من هذه الأجهزة الموجهة بأنّ احتجاب المرأة هو الذي ينشر هذه الفاحشة الشاذة في المجتمعات، ولكن شهادة الواقع تخرق العيون، ففي أوربا وأمريكا لم يبق ضابط واحد للاختلاط الجنسي الكامل بين كل ذكر وكل أنثى، كما في عالم البهائم!، وهذه الفاحشة الشاذة يرتفع معدّلها بارتفاع الاختلاط ولا يقتصر على الشذوذ بين الرجال بل يتعداه إلى الشذوذ بين النساء"[1].

خامسا: في السفور وعواقبه : قوله تعالى :{يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّـهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)} [الأعراف: 26].

بعد ذكر سيد المشهد الذي سبق الحديث عنه في العري وتكشف السوءات، وبين أنها ليست هي من الأساطير المذكورة، أومن إيحاءات < فرويد > المسمومة، ولا ما يجول في خيالات الفن الأوروبي الذين يربطونه بالمباشرة الجنسية .

وبين بعدها نعمة الله على البشر، النعمة التي تجعلهم في مأمن عن العري الذي كان متفشيا بينهم ألا وهو اللباس المؤدي للتقوى والحياء وكيف حال من تخلى عنه فهو بمثابة من أقام حربا مع الله ونزع رباط التقوى، بينه وبين خالقه، وذكر خطة اليهود التي يقومون بها من خلال هذه الثغرة لتدمير البشرية والإنسانية، وما هو حاصل في زمانه مخالفة لما نص عليه الكتاب العزيز بقوله:"ومن هنا يستطيع المسلم أن يربط بين الحملة الضخمة الموجهة إلى حياء الناس وأخلاقهم، والدعوة السافرة لهم إلى العري الجسدي باسم الزينة والحضارة والمودة – وبين خطة الصهيونية لتدمير إنسانيتهم، والتعجيل بانحلالهم ليسهل تعبيدهم لملك صهيون! ، ثم يربط بين هذا كله ..بتلك الحملة الفاجرة الداعرة إلى العري النفسي والبدني التي تدعوا إليه أقلام وأجهزة تعمل لشياطين اليهود في كل مكان، والزينة - الإنسانية -هي زينة الستر بينما الزينة - الحيوانية - هي زينة العري، ولكن الآدميين في هذا الزمان

[1] _ المرجع السابق، (3/ 1315).

يرتدون إلى رجعية جاهلية[1] تردهم إلى عالم البهيمة، فلا يتذكرون نعمة الله بحفظ إنسانيتهم وصيانتها !!! "[2].

سادسا: في الزنا : قوله تعالى : {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)} [الإسراء: 32].

في تفسيره لهذه الآية بين سيد رحمه الله الرابطة الوثيقة بين قتل الأولاد وقتل النفس، وسرّ توسطها بينهما و في أنها قتل للشهوة في غير موضعها، يتبعها قتل للجنين، و إن ترك حيا فسيترك لحياة شريرة مليئة بالخبث، وفيه تضييع للأنساب، وهو قتل للأسرة وللرابطة الزوجية ويجعل منها نافلة، فبوجود هذا الحل الذي يعتبرونه، تكون الحياة الزوجية لا معنى لها، وبالتالي تفلت المجتمع وانحل من جميع الأوامر، ومن ثم يذكر حال العصر، في انفلات زمام الأمور ونزوله إلى درك الحيوانية حيث يقول:"وما من أمة فشت فيها الفاحشة إلا صارت إلى انحلال، منذ التاريخ القديم إلى العصر الحديث وقد يغرّ بعضهم أنّ أوربا وأمريكا تملكان زمام القيم المادية اليوم، مع فشو هذه الفاحشة فيهما، ولكن آثارهذا الانحلال في الأمم القديمة منها، كفرنسا ظاهرة لا شك فيها، أمّا في الأمم الفتية كالولايات المتحدة، فإنّ فعلها لم تظهر بعد آثاره بسبب حداثة هذا الشعب واتساع موارده، كالشاب الذي يسرف في شهوته، فلا يظهر أثر الإسراف في بنيته وهو شاب، ولكنه سرعان ما يتحطم عندما يدلف إلى الكهولة، فلا يقوى على احتمال آثار السن، كما يقوى عليها المعتدلون من أنداده"[3].

[1] _ الجاهلية عند سيد ليست مقابلة للعلم والتقدم ولكنها مقابلة للإيمان والالتزام بمنهج الله وتطبيق شريعته، و إنها وصف مطابق لكل حالة ترفض فيها مجموعة من الناس الالتزام بمنهج الله وليس مقصودا بها فترة ماضية من الزمان/صلاح الخالدي، في ظلال القرآن في الميزان، ص 186.

[2] _ سيد قطب، في ظلال القرآن، (3 /78 12 -1279).

[3] _ المرجع السابق، (2224/4).

المطلب الثالث: قضايا سياسية

أولا: في الحاكمية : في قوله تعالى { وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥) } [إبراهيم: 45].

في معرض كلامه عن الطغاة، وحالهم في عدم الاعتبار بالأمم الماضية والذين لا يرون سنة الله التي تعمل ولا تتخلف، رغم استخلافهم فيها وإقسامهم، قال تعالى:{أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤)}[إبراهيم: 44] ، ومن ثم يشير تلميحا على أنّ هذا الحال هو نفسه بالنسبة لطغاة اليوم الذين لا يأخذون الموعظة من قصص ما قبلهم حيث يقول: "وإنّ هذا المثل ليتجدد في الحياة ويقع كل حين، فكم من طغاة يسكنون مساكن الطغاة الذين هلكوا من قبلهم، وربما يكونون قد هلكوا على أيديهم، ثم هم يطغون بعد ذلك ويتجبرون، ويسيرون حذوك النعل بالنعل سيرة الهالكين فلا تهز وجدانهم تلك الآثار الباقية التي يسلكونها، والتي تتحدث عن تاريخ الهالكين وتصور مصائرهم للناظرين، ثم يؤخذون أخذة الغابرين ويلحقون بهم، وتخلوا منهم الديار بعد حين!"[1].

ثانيا: في علماء السوء : قوله تعالى : {قُلْ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّـهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨)} [الأعراف: 28].

فسر الآية وبيّن أنّ الله لا يدعوا إلى الفاحشة إطلاقا، وعرّف معنى الفحش وهو كل ما يتجاوز الحد، ووضح أنّ العري من الفاحشة التي نهى الله عنها وأمرنا باجتنابها، ونفى أن يزعم إنسان شيئا من هواه أنه موجود في شرعه تعالى إلا بدليل من الكتاب والسنة وإلا لقال من شاء ما شاء حسب هواه ومبتغاه، ومن ثَمَّ ربطها بالجاهلية بجميع تصوراتها وبكل حيثياتها على مدار الأزمان حيث يقول:"وفي هذه الجاهلية التي نعيش فيها اليوم لا يفتأ يطلع علينا كاذب مفتر يقول ما يمليه عليه هواه ثم يقول:شريعة الله! ولا يفتأ يطلع علينا متبجح وقح ينكر أوامر الدين ونواهيه المنصوص عليها وهو يقول: إنّ الدين لا يمكن أن يكون

[1] _ المرجع السابق، (1372/3).

كذلك! إنّ الدين لا يمكن أن يأمر بهذا! إنّ الدين لا يمكن أن ينهى عن هذا وحجته هي هواه !!!"[1].

ثالثا: في ظلم السلطان : قوله تعالى : {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨)} [البروج: 17-18].

طبّق سيد قطب هذه الآية على واقعه تلميحا على أنّ ما وقع لأصحاب الأخدود، من التعذيب موجود في واقعه الذي يعيشه، حيث يقول:" وهما نموذجان لفعل الإرادة، وتوجيه المشيئة وصورتان من صور الدعوة إلى الله واحتمالاتها المتوقعة إلى جانب الاحتمال الثالث الذي وقع فيه حادث الأخدود..وكلها يعرضها القرآن للقلّة المؤمنة في مكة ولكل جيل من أجيال المؤمنين"[2]، فكان هذا الكلام من سيد بمثابة البيان التلميحي لما كانت تلقاه الجماعة المسلمة من الاضطهاد والمطاردة من طرف المعادين لهم.

رابعا: في الدعوة إلى الله : قال تعالى : {وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (٥٥) } [الأنعام: 55].

في تفسير سيد لهذه الآية بيّن ضرورة توضيح سبيل الحق وسبيل المجرمين التي هي ضرورة لاستبانة سبيل المؤمنين، ذلك أن بيان الجهة المظلمة التي تحتوي الباطل والشرور، والتأكيد على خسران أهل هذه الجهة، ما يجعله ينحى بإرادته إلى جانب الحق فمعرفة الإنسان بأن الذي يحاده ويجانبه هو الباطل، يُمَكِّن في نفس المؤمن الثبات على ما هو عليه من الحق، فكان لزاما عليهم بيان السبيلين معا، حتى لا يقع أحد في الخطأ من جهل منه وشبهة عرضت له، ومن ثم ربط الآية بالواقع في بيان واضح، يقول سيد:"ولكن المشقة الكبرى التي تواجه حركات الإسلام الحقيقية اليوم، ليست في شيء من هذا، إنها تتمثل في وجود أقوام من الناس من سلالات، في أوطان كانت في يوم من الأيام دارا للإسلام، يسيطر عليها دين الله، وتحكم في شريعته، ثم إذا هذه الأرض، وإذا هذه الأقوام تهجر الإسلام حقيقة وتعلنه اسما وإذا هي تتنكر لمقومات الإسلام، اعتقادا وواقعا وإن ظنّت أنها تدين بالإسلام اعتقادا..وهذا أشق ما تواجهه حركات الإسلام الحقيقية في هذه الأوطان، أشق ما

[1] _ المرجع السابق، (3 / 1280).
[2] _ المرجع نفسه، (3876/6).

تعانيه هذه الحركات هو عدم استبانة طريق المسلمين الصالحين و طريق المشركين المجرمين، واختلاط الشارات والعناوين ..ويعرف أعداء الحركات الإسلامية هذه الثغرة فيعكفون عليها توسيعا وتمييعا وتلبيسا وتخليطا"[1].

[1] _المرجع السابق، (2 / 1106).

خاتمـــــة

بعد هذه الدراسة لتنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين "سيد قطب أنموذجا "نصل إلى المحطة الأخيرة التي كانت حصيلة هذه الدراسة، باستخلاص جملة من النتائج و الحقائق، التي توصلنا إليها وهي كالآتي:

- القرآن الكريم منهج حياة ومحور هداية، في كل زمان ومكان.
- تنزيل الآيات على الواقع، يقرب الأفهام أكثر إلى معاني الآيات.
- توظيف المفسر لهذه الآلية، يبرز موقفه من الحدث الذي يسوقه.
- قدرة المفسر على كشف المشاهد الواقعة للآيات من خلال اعتماده على قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، و إخراج النص من دائرة الزمان و المكان إلى فضاء البشرية عامة.
- اهتمام سيد قطب وتركيزه على قضية تنزيل الآيات على الواقع في حياة المسلمين
- لمنهج سيد خصائص فذة في ربط النصوص بالواقع، وحرصه على توجيهها نحو الخير، و تركيزه على الأساليب العملية له.
- من منهجه في تنزيل الآيات على الواقع الانطلاق من قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعدم قصر الآيات على الأسباب التي نزلت فيها.
- منهجه في إيراد الوقائع مرة بالتصريح ومرة بالتلميح.
- القضايا التي اعتنى بها الشهيد سيد قطب في تفسيره بتنزيل الآيات عليها متنوعة حيث شملت النواحي العقدية والاجتماعية والسياسية و غيرها.

وفي ضوء نتائج الدراسة السابقة الذكر نوصي بما يأتي:

- العناية بالقرآن الكريم فهما وتدبرا وتطبيقا بالنسبة لطلبة العلوم الإسلامية عامة وطلبة التفسير وعلوم قرآن خاصّة
- دعم الدراسات التأصيلية وتكريسها لخدمة هذا الموضوع
- ضرورة إعداد طبعة جديدة ومنقحة ومزيدة لتفسير "في ظلال القرآن"مخرجة الأحاديث والآثار

- العناية بمؤلفات سيد قطب والاستفادة منها مع التركيز على الآراء التي مازالت حاضرة في واقع الأمة وما تلاقيه من مخاطر.

وفي الأخير نحمد الله سبحانه على ما منّ به علينا من توفيق لإتمام هذا العمل، وله الحمد على كثير نعمه وعطاياه ، والصلاة والسلام على خاتم الرسل والأنبياء، صلاة نختم بها هذه الدراسة راجين ببركتها أن يمنّ الله تعالى علينا بقبول هذا الجهد، فاتحين المجال لدراسات أخرى للبحث والاستكشاف في هذا الموضوع.

❖ القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

قائمة المصادر و المراجع

1-ابن العربي،أحكام القرآن،دارالكتب العلمية _بيروت، ط1، 1995م.

2-ابن القيم، بدائع التفسير، دار ابن الجوزي، طبعة جديدة،1427هـ.

3-ابن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير،دار الكتب العلمية_ بيروت،ط1، 1995م.

4-ابن تيمية، مجموع الفتاوى،دار الوفاء،ط3، 2003م.

5-ابن حبان،صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة_بيروت، ط2، 1993م، تحقيق شعيب الأرنؤوط.

6-ابن فارس،معجم مقاييس اللغة،دار الفكر_ بيروت، (د-ط)، 1979م

7-ابن قيم الجوزية،إعلام الموقعين عن رب العالمين،دار ابن الجوزي، ط1،1423هـ

8-ابن منظور، لسان العرب،دار صادر _ بيروت،(د-ط)،(د-ت).

9-أبو داوود، السنن،دار الحديث – بيروت،ط1، 1969م، تحقيق عزب عبيد دعاس وآخر.

10-أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث،دار الكتاب العربي _ لبنان (د_ط)،(د-ت).

11-البخاري، الجامع الصحيح،تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر-الرياض،1998م.

12-الترمذي، جامع الترمذي،دار الكتب العلمية –بيروت،ط1، 1987م،تحقيق أحمد شاكر وآخر.

13-الجصاص الحنفي، أحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي_بيروت، (د_ط)، 1405هـ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي.

14-الحاكم،المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية_بيروت، ط1، 1990م، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

15-الحسين جلو،منهج القرآن التربوي في ضوء أسباب النزول، (د_ط)، (د_ت).

16-الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة_بيروت، لبنان، ،(د-ط)،(د-ت)، تحقيق محمد سيد كيلاني.

17-الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس،دار التراث العربي _ الكويت،1965م
18-الزر كلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 2002م.
19-الزركشي، البرهان في علوم القرآن،دار التراث، القاهرة،(د-ط)،(د-ت)،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
20-الشاطبي،الموافقات، دار ابن عفان، (د_ط)، (د_ت)، تحقيق أبو عبيدة مشهور.
21-الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان - بيروت، طبعة جديدة،1985م.
22-الشهرستاني، الملل والنحل،دار الكتب العلمية –بيروت، لبنان، ط2، 1992م، تحقيق أحمد فهمي محمد.
23-الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر،ط1، 2001م، تحقيق عبد الله التركي.
24-القرطبي،الجامع لأحكام القرآن،مؤسسة الرسالة،ط1، 2006م.
25-النسائي،السنن، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط3، 1994م،تحقيق عبد الفتاح أبو غدة .
26-الواحدي،الوسيط في تفسير القرآن المجيد،دار الكتب العلمية،بيروت –لبنان،ط1، 1994م، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود.
27-الواحدي،أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ، عالم الكتب –بيروت،(د-ط)، (د-ت).
28-جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،دار الغد الجديد،ط1، 2006م،تحقيق عبد الرحمان فهمي الزواوي .
29-خليل أحمد خليل،موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين،المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت،ط1، 2001م.
30-سيد قطب، ديوان سيد قطب، جمعه ووثقه عبد الباقي حسين، نشر دار الوفاء،(د-ط)، 1988م.
31-سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي، (د-ط)،(د-ت).
32-سيد قطب، معالم في الطريق، (د-ط)،(د-ت).
33-صلاح الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن، دار عمار،ط2، 2000م.

34-صلاح عبد الفتاح الخالدي،تصويبات في فهم بعض الآيات،دار القلم- دمشق،ط1، (د-ت).
35-صلاح عبد الفتاح الخالدي،تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم- دمشق،ط3، 2008.
36-صلاح عبد الفتاح الخالدي،سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، دار القلم، ط2، 1994م.
37-عبد العزيز الضامر،تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين،جائزة دبي الدولية،ط1، 2007م.
38-عبد العظيم الزر قاني،مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي_بيروت، ط1، 1995،تحقيق فواز أحمد زمركي .
39-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية،(د-ط)، 1884م.
40-محمد بن لطفي الصباغ،لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير،الكتب الإسلامي،ط3، 1990م.
41-محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، نشر مكتبة وهبة، ط7، 2000م.
42-محمد رشيد رضا،تفسير المنار،دار إحياء التراث العربي _ بيروت،ط1، 1955م.
43-محمد متولي الشعراوي،تفسير الشعراوي، (د-ط)،(د-ت).
44-معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبد الله الحموي، الرومي، البغدادي، دار صادر_ بيروت ،1977،(د-ط).
45-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين،أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، (د-ط)،1990م.

الرسائل الجامعية و المجلات:

46-الشاهد البوشيخي، فقه واقع الأمة،مجلة حراء،عدد33، سنة2012م.
47-عبد الكبير الحميدي، فقه الواقع في العمل الإسلامي ضرورة حضارية، مجلة البيان،عدد234، سنة2007م.
48- محمد محجوب محمد حسن،محمد متولي الشعراوي من القرية إلى العالمية،مكتبة التراث الإسلامي عابدين القاهرة،(د-ط)، رسالة ماجيستر.

الانترنت:

49-موسوعة ويكيبيديا، www.wekipid.com

فهرس الآيات

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ...﴾	120	47
البقرة	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾	204	30
آل عمران	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾	7	10
آل عمران	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا..﴾	103	31
النساء	﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّـهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا..﴾	82	25
المائدة	﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ..﴾	42	22
المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ...﴾	52_51	46
المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّـهُ لَكُمْ .﴾	88_87	38
المائدة	﴿مَا جَعَلَ اللَّـهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ..﴾	103	46
الأنعام	﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ..﴾	34_33	24
الأنعام	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ..﴾	45_44	50
الأنعام	﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ..﴾	55	57
الأعراف	﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي..﴾	26	53
الأعراف	﴿قُلْ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ..﴾	28	56
الأعراف	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ..﴾	81_80	52
الأعراف	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ ..﴾	90	18
الأعراف	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ..﴾	146	52
الأعراف	﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ..﴾	204	39
التوبة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ...﴾	34	20
الرعد	﴿إِنَّ اللَّـهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ...﴾	11	44
إبراهيم	﴿وَجَعَلُوا لِلَّـهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ..﴾	30	45
إبراهيم	﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ..﴾	44	56

إبراهيم	﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ..﴾	45	56
إبراهيم	﴿هَـٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ...﴾	52	44
النحل	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ...﴾	34_33	51
النحل	﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا...﴾	58	50
النحل	﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ..﴾	125	21
الإسراء	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا...﴾	32	54
الإسراء	﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ..﴾	45	19
الإسراء	﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا..﴾	106	25
طه	﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ..﴾	79_78	42_40
المؤمنون	﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ..﴾	2	20
المؤمنون	﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ..﴾	59	18
النور	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ..﴾	6	31
النور	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ ..﴾	28_27	49
الفرقان	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ..﴾	32	24
الزمر	﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ..﴾	31_30	28_10
الجاثية	﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّـهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا..﴾	8	40
الأحقاف	﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا..﴾	20	32
محمد	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا..﴾	24	14
الرحمان	﴿مُدْهَامَّتَانِ..﴾	64	7
التغابن	﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ..﴾	15	15
البروج	﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ..﴾	18_17	57
الفجر	﴿وَالْفَجْرِ..﴾	1	7
الكوثر	﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ..﴾	3	11

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث	رقم الصفحة
"خطبنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فأقبل الحسن و الحسين"	9
"اللهم فقه في الدين و علمه التأويل"	14
"لما نزلت سورة تبت يدا أبي لهب أقبلت العوراء أم جميل"	19
"أن هلال ابن أمية قذف امرأته بشريك ابن سحماء"	31

الآثار	رقم الصفحة
" إن لم يكونوا الحرورية و السبائية فلا أدري من هم"	10
" قلت لعلي:هل عندكم شيء من الوحي"	14
" تنزيل قتادة رضي الله عنه قوله تعالى:{فأما الذين في قلوبهم زيغ..}"	28
"تنزيل ابن عمر رضي الله عنه, قوله تعالى:{إنك ميت و إنهم..}"	28
" قول ابن عمر:أفكلما اشتهيتم شيئا اشتريتموه"	32

فهرس الموضوعات

شكر و عرفان	
ملخص	
مقدمة	أ
الفصل الأول: تأصيل قضية تنزيل الآيات على الواقع	
المبحث الأول: مفهومها، نشأتها، حكمها، أنواعها و فوائدها	06
المطلب الأول: تعريف تنزيل الآيات على الواقع	06
المطلب الثاني: نشأتها و تطورها	09
المطلب الثالث: حكمها و ضوابطها	14
المطلب الرابع: أنواعها و فوائدها	18
المبحث الثاني: علاقتها ببعض مسائل علوم القرآن	24
المطلب الأول: علاقتها بالحكمة من نزول القرآن منجما	24
المطلب الثاني: علاقتها بصيغ أسباب النزول المحتملة	27
المطلب الثالث: علاقتها بقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب	30
الفصل الثاني:سيد قطب و منهجه في تنزيل الآيات على الواقع-تأصيل ونماذج تطبيقية-	
المبحث الأول: سيد قطب و منهجه في تنزيل الآيات على الواقع	34
المطلب الأول: ترجمة موجزة لحياة المفسر سيد قطب	34
المطلب الثاني: منهجه في تنزيل الآيات على الواقع	37
المطلب الثالث: القضايا المثارة في عصره من خلل تفسيره	41
المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لتنزيل الآيات على الواقع من خلال الظلال	44
المطلب الأول: قضايا عقدية	44
المطلب الثاني: قضايا اجتماعية	49
المطلب الثالث: قضايا سياسية	56

خاتمة.	
قائمة المصادر و المراجع	
فهرس الآيات	
فهرس الأحاديث والآثار	
فهرس الموضوعات	